أسلوب التمني في القرآن الكريم

The Style of Pleading in the Holy Qur'an

إعـــداد:

الطالب: مختار عمر مختار الشنقيطي

الرقم:

٩٥٢٠١٠١٠٠٥

إشراف:

المشرف الدكتور: زياد الدغامين

المشرف المشارك الدكتور: عبد الجبار القزاز

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
١- د. زياد خليل الدغامين (مشرفاً)	.....
٢- د. عبد الجبار القزاز (مشرفاً مشاركاً)	.....
٣- د. أحمد عباس البدوي (عضواً)	.....
٤- د. عبد الرحيم أحمد الزقه (عضواً)	.....
٥- أ.د. شكري عزيز الماضي (عضواً)	.....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص القرآن الكريم وعلومه في

كلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ.....

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"[1] واعترافاً بالجميل، أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى سعادة مدير جامعة آل البيت الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت -حفظه الله تعالى- وذلك لما وجدته في رحاب الجامعة عامة ومنه خاصة من عناية ورعاية ومساعدة ومساندة طيلة فترة دراستي.

كما أتوجه بالشكر والتقدير الكبيرين إلى فضيلة عميد كلية الدراسات الفقهية الأستاذ الدكتور قحطان الدوري، وأعضاء هيئة التدريس.

كما أخص بالشكر: الأستاذين الفاضلين الدكتور زياد الدغامين والأستاذ الدكتور عبد الجبار القزاز اللذين تفضلا بالإشراف على هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى أعضاء لجنة المناقشة، على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة، شاكراً لهم سلفاً ملاحظاتهم القيمة حولها.

كما أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذه الرسالة وإخراجها فجزاهم الله عني خير الجزاء.

---

(1) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل المعروف بسنن الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤، ص٣٣٩، حديث رقم ١٩٥٤. وقال حديث حسن صحيح.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
عنوان الرسالة	أ
الشكر والتقدير	ب
قائمة المحتويات	ج
الملخص باللغة العربية	هـ
تحليل المصادر والمراجع	ز
المقدمة	١
الفصل الأول: لمحة عامة عن الأساليب القرآنية	٤
المبحث الأول: تعريف الأسلوب القرآني وخصائصه	٦
المطلب الأول: تعريف الأسلوب لغةً واصطلاحاً و أسباب التفاوت بين أسلوب القرآن وأسلوب البشر	٧
المطلب الثاني: تنوع أساليب القرآن ومبتكراته	٧
المطلب الثالث: خصائص أسلوب القرآن	١٠
المبحث الثاني: أسلوب التمني	١٤
المطلب الأول: تعريف التمني في اللغة والاصطلاح	١٤
المطلب الثاني: التمني في القرآن	١٨
الفصل الثاني: أسلوب التمني في القرآن دراسة تطبيقية	٢٠
المبحث الأول: التمني بالفعل	٣٦
المبحث الثاني: التمني بالحرف	٣٧
المطلب الأول: أداة التمني ليت وسياقاتها في القرآن الكريم	٦٠
المطلب الثاني: أداة التمني لـو واستعمالها في السياق القرآني	٦٦
المطلب الثالث: أداة التمني هـل واستعمالها في السياق القرآني	٧١
المطلب الرابع: أداة التمني لـولا واستعمالها في السياق القرآني	٧٤
المطلب الخامس: أداة التمني لعـل واستعمالها في السياق القرآني	

الفصل الثالث: أسلوب التمني مظهر من مظاهر إعجاز القرآن ٧٦
تمهيد ٧٧
المظهر الأول: دقة تصوير الحالات النفسية ٧٩
المظهر الثاني: قوة الكلمة في إبراز المعنى المراد ٨٤
المظهر الثالث: تنوع طريقة العرض في أسلوب التمني ٨٩
المظهر الرابع: الواقعية في أسلوب التمني ١٠١
المظهر الخامس: التوجيهات التربوية ١٠٦
الخـــاتمـــة ١٠٩
قائمة المصادر والمراجع ١١١
قائمة الملاحق ١٢١
الملخص باللغة الإنجليزية ١٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

إعداد

مختار عمر مختار الشنقيطي

إشراف

الدكتور زياد الدغامين

يبين هذا البحث أحد الأساليب القرآنية التي لم تحظ بالدراسة المستقلة المستوعبة وهو أسلوب التمني.

وعلى الرغم من أن الدراسات القرآنية قد نحت في الآونة الأخيرة منحى أسلوبيا، فقد درست الأساليب القرآنية في رسائل جامعية وكتب حديثة عدة، منها أسلوب التوكيد والنفي والنداء والاستفهام والطلب ٠٠٠٠ ولكنني لم أجد رسالة أو كتابا تناول أسلوب التمني في القرآن الكريم بدراسة مستقلة ومستوعبة.

ومن أبرز ما يهتم به هذا البحث الاعتماد على القرآن نفسه في استنتاج ما يمكن استنتاجه بالنظر إلى طرق الصياغة والوقوف على السابق واللاحق ترتيبا، ثم بالرجوع إلى الدلالات اللغوية لألفاظه من حيث اللغة في نفسها ومن حيث وجودها في سياق معين، حيث إن الدراسات التطبيقية هي أصل الدراسات القرآنية لما لها من أثر في الكشف عن مكنون المعاني وذخائر النظم. وقد اقتضت طبيعة البحث أن تكون الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

تناول الفصل الأول الأسلوب القرآني من حيث تعريفه، وتنوعه، ومبتكرات الأسلوب القرآني، وخصائصه، ليكون مدخلاً لدراسة أسلوب التمني في القرآن.

وعرض الفصل الثاني لدراسة أسلوب التمني في القرآن دراسة تطبيقية لإظهار الإعجاز القرآني من خلال التعابير الفنية التصويرية الجميلة التي خرجت بها آي الذكر الحكيم، من دقة في التعبير، وتصوير دخائل النفوس بأسلوب إعجازي مطلع على الملكات والأحاسيس والمكنونات الإنسانية الداخلية العميقة التي لا تستطيع الأساليب العربية تصويرها واستحضارها لما فيها من الجانب الغيبي.

ثم عرض الفصل الثالث لمظاهر الإعجاز القرآني في أسلوب التمنـــــي، بدراســة أسلوب التمني بطريقة موحدة، فالخصائص الإعجازية لا يمكن الوقوف عليـــها بأكملــها بطريقة جزئية بتناول كل نص على حدة، وعرض الفصل لمظاهر الإعجاز القرآني فـــي أسلوب التمني من خلال خمسة مظاهر:

الأولى: دقة تصوير الحالات النفسية.

الثانية: قوة الكلمة في إبراز المعنى المراد.

الثالثة: تنوع طريقة العرض.

الرابعة: الواقعية في أسلوب التمني.

الخامسة: التوجيهات التربوية.

ولخصت الخاتمة أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

تحليل المصادر والمراجع

(١) الكتاب لـعمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م):

يعد كتاب سيبويه أول كتاب جامع في النحو، جمع فيه مؤلفه عدداً من علوم العربية كالنحو والصرف، والأصوات اللغوية، وغيرها، وقد اتسم الكتاب بالاستشهاد بالقرآن الكريم والقراءات لإثبات وترسيخ القاعدة النحوية، والاستشهاد بأشعار شعراء عصر الاحتجاج والاستشهاد بأمثال العرب وكلام العرب الفصحاء كما يمتاز بإيجاز العبارة وغموضها، لأنه شق طريقاً جديداً لم يذلله أحد قبله. عرض القاعدة وأمثلتها، ممزوجة بالتعليلات وبيان وجه القياس مع عرض الآراء المختلفة في موضوع بحثه، وتفضيل بعضها على بعض وافتراض فروض يضع لها أحكامها في بعض الأحيان.

احتفظ كتاب سيبويه بشهرته منذ أن تداوله العلماء حتى اليوم، حتى إنه لا يوجد نحوي إلا وقد اعتمد عليه في مصنفاته، وقد رجعت إليها كثيراً لبيان دلالات حروف التمني.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م):

من أجل التفاسير بالمأثور، وأصحها، واجمعها لما ورد عن بعض الصحابة والتابعين، عرض فيه لتوجيه الأقوال، ورجح بعضها على بعض، وذكر فيه كثيراً من الإعراب واستنباط الأحكام، وكان يعنى بذكر القراءات وينزلها على المعاني المختلفة.

ومن مزاياه أنه حرر الأسانيد وقرب البعيد، وجمع ما لم يجمعه غيره، غير أنه قد يسوق أخباراً بأسانيد غير صحيحة ثم لا ينبه على عدم صحتها، كما أنه يكثر من رواية الإسرائيليات ولا يتعقبها بالنقد، وكان كثيراً ما يرجع إلى الشواهد الشعرية ويتعرض لمذهب النحويين من البصريين والكوفيين.

(٣) دلائل الإعجاز لعبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ/١٠٧٨م):

هذا الكتاب هو من أهم الكتب التي كتبت في إعجاز القرآن الكريم، ضمّن فيه مؤلفه نظريته (نظرية النظم). وبدأ فيه عبد القاهر حديثه عن أهمية علم البيان ورفعته ومنزلته بين العلوم، وعن أهمية الأدب والشعر، وبعد هذا التمهيد في كتابه، شرع -رحمه الله- في بيان فكرته وشرح نظريته، والتي عزى من خلالها إعجاز القرآن الكريم اليها، ونفى أن يكون هناك إعجاز غير النظم القرآني.

ويعد الإمام عبد القاهر الجرجاني مرجعا إلى من جاء بعده من العلماء الذين كتبوا في أعجاز القرآن الكريم. وقد اعتمدت على نظريته في إظهار الأعجاز القرآني لهذا الأسلوب.

(٤) المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ/١٠٣٣م):

يعتبر المفردات من أهم الكتب التي لا يستغني عنها الباحث في مجال التفسير أو علوم القرآن. ويعد هذا الكتاب كتاباً في المعاني اللغوية للمصطلحات القرآنية، وقد بين فيه المؤلف المعاني للمصطلحات العربية في القرآن الكريم، وقد رتب المؤلف الكتاب حسب الترتيب الهجائي من باب الألف حتى باب الياء وقد استفدت من الكتاب في تحديد معاني بعض المفردات القرآنية.

(٥) الكشاف لمحمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م):

كتاب من خير الكتب التي يرجع إليها في التفسير من ناحية البلاغة، وأغلب التفاسير من بعده أخذت منه لما احتواه من تطبيق لنظرية النظم تطبيقاً عملياً تفصيلياً في تفسير كتاب الله تعالى. ويمتاز الكشاف بأمور منها: خلوه من الحشو والتطويل، ومنها اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم، ومنها عنايته بعلمي المعاني والبيان. وقد رجعت إلى هذا التفسير كثيراً لبيان الإعجاز في الآية.

(٦) المحرر الوجيز لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي (ت ٥٤٦ هـ/١١٥١م):

يعد من أهم كتب التفسير، فهو يفسر الآية بعبارة سهلة عذبة ويورد من التفسير المأثور ويختار منه في غير إكثار وينقل عن ابن جرير الطبري كثيراً، وهو كثير الاستشهاد بالشعر العربي كما أنه يحتكم إلى اللغة العربية عندما يوجه بعض المعاني كثير الاهتمام بالصناعة النحوية، كثير التعرض للقراءات.

(٧) مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م):

تفسير عقلي للقرآن الكريم، من أجود ما ألف في بيان كتاب الله العزيز سلك في تفسيره مسلك الحكماء الإلهيين، فصاغ أدلته في مباحث الإلهيات على نمط استدلالاتهم العقلية، ولكن مع تهذيبها بما يوافق أصول أهل السنة وكذلك تعرض لشبههم بالنقض والتفنيد في كثير من المواضع. كما أنه سلك طريقة الطبيعيين في الكونيات فتكلم في الأفلاك والأبراج، وفي السماء

والأرض، وفي الحيوان والنبات، وفي أجزاء الإنسان. كما لم يغفل الجانب الفقهي والأصولي والجانب اللغوي في كتابه.

(٨) تفسير القرآن العظيم لعماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب بن حفص عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

يعتبر تفسيره من أشهر ما دون في التفسير المأثور، اعتنى فيه مؤلفه بالرواية عن مفسري السلف، ففسر فيه كلام الله تعالى بالأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها.

يمتاز بأنه يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة موجزة، ثم إن أمكن تفسيرها بآية أخرى ذكرها، ثم يذكر الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية، ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين ويرجح بعض الأقوال على بعض، كما أنه يدخل في المباحث الفقهية ويذكر أقوال العلماء وأدلتهم عندما يشرح آية من آيات الأحكام.

(٩) نظم الدرر في تناسب للآيات والسور لإبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م):

يعتبر نظم الدرر من أهم الكتب في علم التفسير التي لا يستغني عنها الباحث في علم المناسبة، فقد اجتهد البقاعي في استخراج المناسبة بين كل آية والتي تليها، وبين السورة والتي قبلها وما بعدها، وبين نجوم الآيات وفواصلها، وبين موضوع السورة وافتتاحية عدد من السور، وبين مجموعة آيات في موضوع واحد وطريقة سردها وبين مناسبتها. وكل هذا الربط: لأن البقاعي ينظر إلى القرآن على أنه وحدة موضوعية واحدة.

كما ويعد هذا التفسير موسوعة لغوية، إذ أكثر مؤلفه من عرضه لتقاليب كلمات كثيرة في صفحات عديدة من الكتاب وصيغ الأفعال، وتصاريف الكلمات واختيار اللفظة لتلك الآية ونزولها في ذلك الموطن حتى كأنها خلقت له. كما عرض البقاعي في هذا الكتاب للقراءات ووجهها، وللأحاديث والحكم عليها وتخريجها.

(١٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود أفندي الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م):

يعد هذا التفسير جامعا لآراء من سبقه من المفسرين رواية ودراية، فهو جامع لخلاصة كل ما سبقه من التفاسير فهو ينقل عن تفسير ابن عطية وأبي حيان والزمخشري وأبي السعود والبيضاوي وغيرهم. ومما يلاحظ في تفسيره أنه يستطرد إلى الكلام في الأمور الكونية، وكذلك إذا تكلم عن آيات الأحكام فإنه يستوفي فيها مذاهب الفقهاء وأدلتهم مع عدم التعصب لمذهب بعينه، كما أنه شديد النقد للإسرائيليات والأخبار المذكورة، وكثيرا ما يعرض لذكر القرارات، ويعني بإظهار وجه المناسبات بين السور وبين الآيات ويذكر أسباب النزول وهو كثير الاستشهاد بأشعار العرب على ما يذهب إليه من المعاني اللغوية. وكما يعني مؤلفه بالتفسير الإشاري.

(١١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (ت ١٣١٥هـ):

هذا الكتاب من الكتب المهمة والحديثة في التفسير بأسلوب علمي معاصر، حاول فيه مؤلفه التوفيق بين آثار السلف ومقتضيات العصر الحاضر. وكان يدافع عن الكثير من المبادئ الإسلامية، وكان لا يغوص كثيرا في المسائل الفقهية واللغوية ويكتفي بإفهام غير الواضح، والمنهج الذي يصدر عنه يدل بوجه عام على تعمقه في الأسلوب القرآني، ودراسته له على أنه للهداية والإعجاز.

(١٢) في ظلال القرآن لسيد قطب:

من أهم الكتب التي كتبت في التفسير في العصر الحديث وهذا الكتاب يعتبر من كتب التفسير التي أبدع فيها مؤلفه، فهو لم يجمع التفسير جمعا إنما هو إبداع جديد في مجال التفسير وقد بين فيه المؤلف وجوب تطبيق المبادئ القرآنية في الحياة الإنسانية فهو يخاطب المجتمع الإنساني في تفسيره. وقد ذكر فيه الآيات ثم يمر عليها مرورا سريعا لبيان أهدافها وأساليبها ثم يرجع إليها مفصلا فيها آية أية رابطا بينها وبين القرآن والمجتمع الإسلامي حديثا وقديما.

يعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع التي اعتمدت عليها في بحثي.

(١٣) التحرير والتنوير لـمحمد الطاهر بن عاشور:

من أفضل الكتب المتأخرة في التفسير التحليلي جمع فيه أقوال المفسرين السابقين ورجح بينها. ويعتبر تفسيره شاملاً إذ كان يبين الترابط بين السور والآيات وأسماء السور وسبب تسميتها ثم يذكر الفوائد البلاغية واللغوية في الآيات، كما كان معنياً ببيان الأحكام الفقهية التي تؤخذ من الآية ويُعد من التفسير بالمأثور والرأي. وكان من اهتمام الشيخ بأمر الإعجاز أن أفرد له المقدمة الأخيرة من مقدمات تفسيره حيث جعلها خاصة به، وقد استفدت منه لاهتمام مؤلفه بإعجاز القرآن من جهة نظمه وبلاغته اهتماماً عظيماً، حيث يمكن أن يقال إنه من أكثر من فصَّل في جوانب بلاغة القرآن الكريم.

المقدمة

يعد أسلوب التمني في القرآن الكريم ظاهرة لغوية تعالج كثيراً من أمور الدين والدنيا والحياة الآخرة.

ولم يحظ هذا الأسلوب -فيما وقفت عليه- بدراسة مستقلة مستوعبة لصوره المختلفة ومعانيه الدلالية، وخصائصه الأسلوبية في القرآن الكريم، وإنما تفرقت في كتب التفسير والإعجاز والبلاغة والنحو على غير دراسة مستوعبة.

وبناءً على ما تقدم فإن هذه الدراسة تهدف إلى معالجة أسلوب التمني في القرآن الكريم من حيث الصور المختلفة، والمعاني الدلالية، والخصائص الأسلوبية التي ذكرت في القرآن الكريم.

مبررات اختيار الموضوع:

جاءت هذه الدراسة نتيجة دراسة واعية وشاملة لهذا الأسلوب، وقد وضع اختياري لهذا الموضوع للأسباب الآتية:

١. معرفة خصائص أسلوب التمني في القرآن الكريم.

٢. معرفة الدلالات البيانية لهذا الأسلوب في القرآن الكريم.

٣. التعرف على دواعي استخدام أدوات التمني في القرآن الكريم.

٤. وضع دراسة موضوعية لأسلوب من أساليب القرآن الكريم تساعد الطلبة والمختصين وتثري المكتبة الإسلامية.

٥. إثراء الدراسات القرآنية والبيانية، حيث نحت الدراسات القرآنية في الآونة الأخيرة منحى أسلوبيا، ومن هذه الدراسات: أسلوب الاستفهام، والحذف، والتأكيد، والقسم، والشرط، والأمر، والنهي.

وحسب اطلاعي وجدت أن هذا الأسلوب لم يدرس من قبل، فأحببت دراسته دراسة مستقلة مستوعبة.

أدبيات الدراسة:

لا توجد هناك دراسة شاملة لهذا الموضوع، وكل ما هناك عبارة عن استعراض لـــهذا الموضوع لجوانب جزئية مختلفة وغير شاملة، ومن هذه الدراسات:

١. كتب اللغة: تعرضت المعاجم لهذا الأسلوب من حيث معانيه الدلالية لغة دون تطبيقها علـــى القرآن الكريم، فمثلاً ذكر ابن منظور في لســـان العـــرب أدوات التمنـــي وذكـــر عملـــها واستعمالاتها في الشعر.

وعلى ذلك جرت كتب النحو فقد اهتمت بذكر عمل أدوات التمني من حيث عملها بمـــا بعدها.

٢. كتب البلاغة: تعرضت لدراسة هذا الأسلوب دراسة بيانية، وتفرقت فيها بحيث إنها لم تكـــن دراسة مستوعبة شاملة ولم تطبقها على القرآن الكريم، ولم تستخلص خصائص هذا الأسلوب من القرآن الكريم.

وبحسب ذلك كانت الدراسات تدور في فلك ما ذكر آنفا دون التعرض لمزايا وخصائص هذا الأسلوب في القرآن الكريم، فلذلك كانت هذه الدراسة لإبراز هذا الأسلوب، وبالتالي تقديـــم دراسة جديدة حول إعجاز القرآن الكريم من الناحية البيانية من حيث التطبيق.

إشكالية الموضوع:

يمكننا تحديد المشكلة التي يتناولها هذا البحث من حيث الأسئلة الآتية:

١- ما خصائص التمني في القرآن الكريم؟

٢- ما دواعي استخدام أسلوب التمني في القرآن الكريم؟

٣- ما سبب تناوب أدوات التمني مكان بعضها البعض في القرآن الكريم؟

٤- ما أنواع التمني في القرآن الكريم؟

حدود المشكلة:

سيقتصر الباحث على بيان وتوضيح أسلوب التمني في القرآن الكريم، ولن يتطرق لبحث أسلوب التمني في اللغة بالتفصيل، إنما سيعرض له بقدر ما يخدم البحث من التأصيل لهذا الأسلوب تأصيلاً لغوياً مكتفياً بالدراسات اللغوية السابقة.

الفرضيات:

١. لأسلوب التمني في القرآن الكريم دور كبير في إعجاز القرآن.

٢. هذا الأسلوب يعالج كثيراً من أمور الدين والدنيا والحياة الآخرة.

المنهجية:

١. استقصاء المؤلفات التي تعرضت لأسلوب التمني ودراستها دراسة موضوعية.

٢. ترتيب وتبويب وصياغة المواضيع المختلفة وتقسيمها بشكل منطقي وفق ما تقتضيه مفردات البحث، بحيث أضع تحت كل فصل ما يخصه.

٣. دراسة كيفية عرض القرآن الكريم لهذا الأسلوب دراسة متعمقة وموضوعية بشكل مفصّل.

٤. مناقشة الآراء وإبداء النظر والترجيح بينها ما أمكن.

الفصل الأول

لمحة عامة عن الأساليب القرآنية

المبحث الأول: تعريف الأسلوب القرآني وخصائصه.

المطلب الأول: تعريف الأسلوب لغة واصطلاحاً وأسباب التفـــاوت بين أسلوب القرآن وأسلوب البشر.

المطلب الثاني: تنوع أساليب القرآن ومبتكراته.

المطلب الثالث: خصائص أسلوب القرآن.

المبحث الثاني: أسلوب التمني.

المطلب الأول: تعريف التمني في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: التمني في القرآن.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد..

فقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فقال في محكم آياته: **"وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين"**[1].

وقد أدرك اللغويون القدامى أن لغة التنزيل هي لغة الخالق العظيم، وأنها ليست كلغة العرب أهل البيان والفصاحة، وأن لها خصائص عالية اكتسبت بها صفة الإعجاز.

وظل القرآن محور الدراسات الإسلامية واللغوية والنحوية والبلاغية في العالم الإسلامي، ونال من البحث والدراسة والفهم ما لم ينله أي كتاب آخر، وما يزال نبعاً مستمراً لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد.

ولأساليب القرآن أهمية خاصة في تفسير كتاب الله؛ لكون المفسر لا يستطيع أن يبلغ من معانيه شيئاً دون أن يفهم ما فيه من دلالات الألفاظ والتراكيب "لأن الدرس الأسلوبي هو صلب المنهج التحليلي في تفسير النصوص واستنباط الأحكام منها"[2]. ولهذا عقد علماء علوم القرآن أبواباً خاصة في مصنفاتهم تحدثوا فيها عن أساليب القرآن وأهميتها وتنوعها وعميق أسرارها، من ذلك ما ذكره الزركشي بقوله "اعلم أن هذا علم شريف المحل، عظيم المكان، قليل الطلاب، ضعيف الأصحاب ليست له عشيرة تحميه، ولا ذوو بصيرة تستقصيه، وهو أرق من الشعر، وأهول من البحر، وأعجب من السحر، وكيف لا يكون! وهو المُطّلعْ على أسرار القرآن العظيم، الكافل بإبراز إعجاز النظم المبين.."[3].

ولهذه الأهمية لأساليب القرآن؛ فقد رأيت أن أتناول أسلوباً من أساليبه بالبحث والدراسة ألا وهو "أسلوب التمني".

---

(1) سورة الشعراء، آية ١٩٢-١٩٥.

(2) مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ١٩٩٩م، ص٢.

(3) محمد عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ/١٣٩١م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٩٧، ج٤، ص٣٨٢.

وحتى نتمكن من الوقوف على هذا الأسلوب البديع والكشف عن سر الجمال فيه وكونه مظهراً من مظاهر الإعجاز القرآني، كان لابد من إلقاء النظر على تعريف الأسلوب القرآني وبيان تنوع الأساليب القرآنية وخصائصها.

المبحث الأول: تعريف الأسلوب القرآني وخصائصه.

المطلب الأول: تعريف الأسلوب لغة واصطلاحاً:

تشير معاجم اللغة إلى أن الأسلوب "بضم الهمزة الطريق والفن، وهو على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق من طرقهم"[١].

كما يقال "للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد"[٢] ويتكون الأسلوب من "المعنى المستكن في النفس، ومن العبارة الصوتية التي تعلن عما تكنه تلك النفس"[٣].

وعرف الأسلوب اصطلاحا أحيانا بما يشمل كل أنواع الأساليب على اختلافها وتعددها، فقيل: "هو طريقة التعبير"[٤] وفي كثير من الأحيان قد اقتصر في تعريفه على نوع واحد من الأساليب، هو الأسلوب الأدبي الذي يهتم به الدارسون للأدب العربي، فقالوا الأسلوب "هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"[٥].

وأنسب ما قيل في تعريف أسلوب القرآن أنه "الطريقة التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه"[٦].

ومع وجود تشابه سطحي بين أسلوب القرآن، والأسلوب الأدبي، إلا أن هذا التعريف خاص بالأسلوب القرآني ولا يدخل فيه الأسلوب الأدبي، بدليل سمو الأسلوب القرآني، وإحجام العرب عن معارضته وعجزهم عن محاكاته، فهو أسلوب معجز ومنفرد عن سائر الأساليب. وما وجد في لاحق الزمن أسلوب يضاهي أسلوبه.

---

(١) أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الطبعة الثانية، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، ١٩٠٦، ص٣٣٥.

(٢) محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق مكتب تحقيق التراث، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ١٩٩٣، ج٦، ص٣١٩، مادة سلب.

(٣) عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء الأساليب القرآنية، الطبعة الرابعة، المكتبة الأموية، ١٩٨٣، ص٤٦.

(٤) أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، الطبعة السادسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦، ص٣٢.

(٥) المرجع ذاته.

(٦) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة الثالثة، دار الفكر، ١٩٨٨، ج٢، ص٣٠٣.

أسباب التفاوت بين أسلوب القرآن وأسلوب البشر:

يرجع سر التفاوت بين أسلوب القرآن وأسلوب البشر، مع أن اللغة واحدة لا تختلف إلى أمور منها:

أولاً: "ما نجده في أسلوب القرآن من قوة نسج، وإحكام في السرد، بحيث لو قرأته كله من أوله إلى آخره، فإنك لا تحس بنبوة أو ثغرة، وأنت تنتقل من معنى إلى آخر، ومن الآية إلى التي بعدها أو من موضوع إلى موضوع"[١].

ثانياً: "إن هذا الإحكام وتلك القوة في الأسلوب القرآني نجدها في القرآن مكية ومدنية على السواء، وفي سوره الطويلة والقصيرة على السواء، فهو لا يختلف في هذه عنه في آيات الأحكام على تعددها، وهذا ما لا نجده عند فصحاء العرب شعراء وخطباء"[٢].

ثالثاً: "وعلى هذا فأسلوب القرآن الكريم نسق واحد، وهذا ما يجعله يختلف عن أساليب البشر، حيث كانت أمزجتهم تنعكس على أساليبهم"[٣]، والأسلوب لا يختلف بين أديب وأديب فحسب ولكنه "يختلف عند الأديب وحده حين يعالج فنين مختلفين كالقصة والمقال"[٤].

المطلب الثاني: تنوع أساليب القرآن ومبتكراته:

اشتمل القرآن الكريم على أنواع الأساليب العربية، وابتكر أساليباً جديدة لم يكونوا يعرفونها؛ ولهذا التنوع -كما يقول ابن عاشور- حكمتين داخلتين في الإعجاز: "أولاها: ظهور أنه من عند الله؛ إذ قد تعارف الأدباء في كل عصر أن يظهر نبوغ نوابغهم على أساليب مختلفة كل يجيد أسلوباً أو أسلوبين، الثانية: أن يكون في ذلك زيادة التحدي للمتحدين به بحيث لا يستطيع أحد أن يقول: إن هذا الأسلوب لم تسبق لي معالجته، ولو جاءنا بأسلوب آخر لعارضته"[٥].

يقول السيوطي عند حديثه عن الإعجاز: "الوجه الثالث من وجه إعجازه: حسن تأليفه

---

[١] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٠١ بتصرف.
[٢] المرجع ذاته، ص٢٠٢ بتصرف.
[٣] المرجع ذاته، ص٢٠٣ بتصرف.
[٤] محمد رجب البيومي، أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد الأدبي، الطبعة الأولى، دار الأصالة للثقافة، النشر والإعلام، الرياض، ١٩٨٥، ص٥٦.
[٥] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤، ج١، ص١١٥.

والتئام كلمه، وفصاحتها، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكـ وأرباب هذا الشأن، فجاء نطقه العجيب، وأسلوبه الغريب مخالفاً لأساليب كلام العرب ومنـــهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصل كلماتـــه، ولـــم يوجد قبله ولا بعده نظير له"[١].

ولبعض النحويين جرأة عجيبة، يجزم بأن القرآن خلا من بعض الأساليب من غـــير أن ينظر في القرآن ويستقرأ أساليبه، ومن ذلك: "ما ذكره السهيلي: أنه يقبح أن تدخل الســـين فـــي جملة خبر المبتدأ، فإذا أدخلت (أن) على المبتدأ جاز دخول السين. وقال: إن هذا مذهب شـــيخه أبي الحسين بن الطراوة، ثم ذكر أنه قال له كالمحتج عليه: أليس قد قال الله تعالى: "**الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار**"[٢]. فجاء بالسين في خبر المبتدأ، فقال لـــي: اقرأ ما قبل الآية، فقرأت "**إن الذين كفروا...**"[٣] فضحك وقال: قد كنت أفزعتني أليست هـــذه (إن) في الجملة المتقدمة فسلمت له وسكت، وما خطر له أن يحتكم في ذلك إلى أسلوب القرآن، ولـــو رجع إلى سورة النساء وحدها لوجد فيها آيات وقعت فيها الجملة المصدرة بالسين أو بـــــسوف خبراً للمبتدأ، وليس قبلها "إنَّ" من ذلك قوله تعالى:

١-"**والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار**"[٤].

٢-"**والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً**"[٥].

٣-"**فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل**"[٦]"[٧].

والقرآن لم يتضمن كل الأساليب العربية، ولا يقال بأن الأساليب التي لم يرد نظيرها في القرآن لا يلتفت إليها، ولا يعمل بها، وإنما "ما جاء في القرآن كان حجة قاطعة، وما لم يقع فـــي القرآن نلتمسه في كلام العرب. ونظير هذا: الأحكام الشرعية، إذا جاء الحكم في القرآن عمل به، وإن لم يرد به نص نلتمسه في السنة وغيرها"[٨].

---

[١] عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ، ١٥٠٥م) معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علـــي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، ج١، ص٢٧..
[٢] سورة النساء، آية ٥٧.
[٣] سورة النساء، آية ٥٦.
[٤] سورة النساء، آية ١٢٢.
[٥] سورة النساء، آية ١٦٢.
[٦] سورة النساء، آية ١٧٥.
[٧] محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ج١، ص٩-١٠.
[٨] المرجع ذاته، ج١، ص١٢-١٣.

ومن الأساليب التي ابتكرها القرآن وخالف بها أساليب العرب:

١-جاء القرآن بأسلوب يخالف أنماط الشعر والخطابة:

وهذا ما يسميه الرماني "بنقض العادة"[١] أي مجيء القرآن على "وضع لم يألفه العرب من قبل، فلقد عرف العرب الشعر والرجز، والسجع، والكلام المرسل غير المسجوع ولا المقفى، ولكن الشكل الذي جاء عليه القرآن يختلف عن ذلك كله"[٢].

يقول ابن عاشور "جاء بطريقة كتاب يقصد حفظه وتلاوته، وذلك من وجوه الإعجاز، إذ كان نظمه على طريقة مبتكرة ليس فيها اتباع للطرائق القديمة في الكلام"[٣].

ومن ذلك أنه جاء "بالجمل الدالة على معان مفيدة محررة، شأن الجمل العلمية والقواعد التشريعية، فلم يأت بعموميات شأنها التخصيص غير مخصوصة ولا بمطلقات تستحق التقييد غير مقيدة، كما كان يفعله العرب لقلة اكتراثهم بالأحوال القليلة والأفراد النادرة"[٤].

ومن ذلك أيضاً "اتساع أدب اللغة في القرآن"[٥]، إذ لم يكن للعرب أدب سوى الشعر والخطابة، وللشعر أبواب وأغراض معروفة كالنسيب والحماسة والرثاء والهجاء وغيرها.

جاء القرآن بأسلوب في الأدب "غض جديد صالح لكل العقول، متفنن إلى أفانين أغراض الحياة كلها، معط لكل فن ما يليق به من المعاني والألفاظ واللهجة: فتضمن المحاورة، والخطابة والجدل والأمثال والقصص والتوصيف والرواية"[٦].

وكذلك جاء على أسلوب "التقسيم والتسوير وهي سنة جديدة في الكلام العربي أدخل بها عليه طريقة التبويب والتصنيف"[٧].

٢-ومن أساليب القرآن التي انفرد بها: احتمال النص لمعانٍ كثيرة كلها صحيح مقبول. يقول سيد قطب "النص الواحد يحوي من مدلولات متنوعة متناسقة في النص، وكل مدلول منها

---

(١) علي بن عيسى الرماني (٣٨٦هـ)، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ص١١٠.
(٢) فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص٤٤.
(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص١٢٠.
(٤) المرجع ذاته.
(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص١١٨.
(٦) المرجع ذاته، ج١، ص١١٩.
(٧) المرجع ذاته، ج١، ص١٢٠.

يستوفي حظه من البيان والوضوح دون اضطراب في الأداء، واختلاط بين المدلولات، وكل قضية وكل حقيقة تنال الخير الذي يناسبها، بحيث يستشهد بالنص الواحد في مجالات شتى"[١].

٣-استحضار المشاهد وتجسيم الأحداث وتصويرها تصويراً ينفذ إلى أعماق النفس.

يقول سيد قطب "وللأداء القرآني طابع بارز كذلك في القدرة على استحضار المشاهد والتعبير المواجه، كما لو كان المشهد حاضراً، بطريقة ليست معهودة على الإطلاق في كلام البشر، ولا يملك الأداء البشري تقليدها، لأنه يبدو في هذه الحالة مضطرباً غير مستقيم مع أسلوب الكتابة"[٢].

٤- التفنن في الأسلوب القصصي:

ومن ذلك حكاية أحوال النعيم والعذاب في الآخرة، وتمثيل الأحوال، وفي أسلوب القرآن القصصي تأثير عظيم في نفوس العرب "إذ كان فن القصص مفقوداً من أدب العربية إلا نادراً، كان في بعض الشعر كأبيات النابغة في الحية التي قتلت الرجل وعاهدت أخاه وغدر بها، فلما جاء القرآن بالأوصاف بهت به العرب كما في سورة الأعراف من وصف أهل الجنة وأهل النار وأهل الأعراف "**ونادى أصحاب النار...**"، وفي سورة الحديد "**فضرب بينهم بسور**"[٣].

المطلب الثالث: خصائص أسلوب القرآن:

الخصائص التي امتاز بها أسلوب القرآن لا يمكن استقصاؤها والإحاطة بها على وجه الاستيعاب، ذلك أنها مما استأثر الله بعلمه. وقد اعترف العلماء السابقون الذين اشتغلوا بدراسة القرآن، بعجزهم عن الإحاطة بخصائصه، وأنهم كلما ظنوا الوصول إلى الغاية؛ ظهر لهم أنهم ما قدموا إلا قطرة من بحر، وكذلك فإن "سيطرتنا القاصرة على عبقرية اللغة الجاهلية لا تسمح لنا بأن نحكم -عن معرفة- على سمو الأسلوب القرآني"[٤]، فهو الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة الخامسة، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٧، ج٣، ص١٧٨٧.
(٢) المرجع ذاته.
(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص١٢٠.
(٤) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، بيروت، ص٢٢٩.

وسأذكر هنا شيئاً من خصائص أسلوب القرآن، مما ذكره سلفنا الأوائل، فمن الخصائص التي امتاز بها أسلوب القرآن الكريم:

(١) تأثيره على النفوس:

يقول سيد قطب: "إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز عن الأداء البشري أن له سلطاناً عجيباً على القلوب ليس للأداء البشري، حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً"[١].

(٢) خطاب العامة وخطاب الخاصة[٢]:

من المعلوم أن الناس مختلفون في طبقاتهم، وثقافتهم ومذاهبهم، فمنهم الجاهل والعالم، والأمي والمتعلم، إلى غير ذلك. وعلى هذا فالذي يحسن مخاطبة طائفة قد لا يحسن مخاطبة أخرى، ولكن في خطاب القرآن نجد أنه ميسر لكل من أراد فهمه "**ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**"[٣].

"إن القرآن الكريم إذا قرأته على العامة أو قرء عليهم أحسوا جلاله، وذاقوا حلاوته، وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم، وكذلك الخاصة إذا قرءوه أو قرء عليهم، أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته، وفهموا منه أكثر مما يفهم العامة، ورأوا أنهم بين يدي كلام ليس كمثله كلام لا في إشراق ديباجه ولا في امتلائه وثروته"[٤].

والقرآن الكريم في خطابه للعامة والخاصة، لم ينزل عن مستواه الرفيع في الفصاحة والبلاغة، ولم يوجه أحد اللوم له أو الاعتراض عليه من أي فئة من الفئات وهذه خاصية من خواص القرآن في أسلوبه.

(٣) "إقناع العقل وإمتاع العاطفة"[٥]:

معنى هذا أن أسلوب القرآن "يخاطب العقل والقلب معاً"[٦].

---

[١] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٣، ص١٧٨٦.
[٢] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص١١٣.
[٣] سورة القمر، آية ١٧.
[٤] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، مرجع سابق، ج٢، ص٣١٣.
[٥] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، مرجع سابق، ص١١٣.
[٦] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، مرجع سابق، ج٢، ص٣١٣.

يقول عبد الله دراز "في النفس الإنسانية قوتان: قوة تفكير، وقوة وجدان، وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها. فأما إحداهما فتتقب عن الحق لمعرفته وعن الخير للعمل به، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطير إلى نفسك بهذين الجناحين، فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معاً"[١].

وأسلوب القرآن يتجه اتجاها واحداً ويجمع في يديك هذين الطرفين معاً، ففي "الاستدلال العقلي على البعث والإعادة في مواجهة منكريهما، كيف يسوق استدلاله سوقاً يهز القلوب هزاً، ويمتع العاطفة إمتاعاً، بما جاء في طي هذه الأدلة المسكتة المقنعة، إذ قال الله سبحانه في سورة فصلت "**ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى، إنه على كل شيء قدير**"[٢]. وإذا قال في سورة ق: "**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدةً ميتاً كذلك الخروج**"[٣]. تأمل في الأسلوب البارع، الذي أقنع العقل وأمتع العاطفة في آن واحد، حتى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل، إذ قال في الآية الأولى: "**إن الذي أحياها لمحي الموتى**" وفي الآيات الأخيرة "**كذلك الخروج**" باللجمال الساحر، وباللإعجاز الباهر الذي يستقبل عقل الإنسان وقلبه معاً بأنصع الأدلة وأمتع المعروضات، في هذه الكلمات المعدودات"[٤].

(٤) "القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى"[٥]:

غايتان في منتهى البلاغة، لا يمكن لأحد أن يجمع بينهما، فإنك "في كل من جمل القرآن، تجد بياناً قاصداً مقدراً على حاجة النفوس البشرية من الهداية الإلهية، دون أن يزيد اللفظ على المعنى، أو يقصر عن الوفاء بحاجات الخلق من هداية الخالق، ومع هذا القصد اللفظي البريء من الإسراف والتقتير، تجده قد جلى لك المعنى في صورة كاملة، لا تنقص شيئاً يعتبر عنصراً

---

[١] محمد عبد الله دارز، النبأ العظيم، مرجع سابق، ص١١٤.
[٢] سورة فصلت، آية ٣٩.
[٣] سورة ق، آية ٦-١١.
[٤] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، مرجع سابق، ج٢، ص٣١٤.
[٥] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، مرجع سابق، ص١٠٩.

أصليا فيها أو حلية مكملة لها، كما أنها لا تزيد شيئا دخيلا فيها وغريبا عنها.. بل هو كما قال الله "**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**"[1]"[2].

كما أن القرآن يستثمر هذه الألفاظ القليلة في التعبير عن القضايا الكبرى. يقول سيد قطب: "إن الأداء القرآني يمتاز بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة في حيز يستحيل على البشر أن يعبروا فيه عن مثل هذه الأغراض، وذلك بأوسع مدلول، وأدق تعبير، وأجمله وأحياه أيضاً مع التناسق العجيب بين المدلول والعبارة والإيقاع والظلال والجو، ومع جمال التعبير دقة الدلالة في آن واحد، بحيث لا يغني لفظ عن لفظ في موضعه، بحيث لا يجور الجمال على الدقة ولا الدقة على الجمال، ويبلغ من ذلك مستوى لا يدرك إعجازه أحد كما يدرك ذلك من يزاولون فن التعبير فعلاً، لأن هؤلاء هم الذين يدركون حدود الطاقة البشرية في هذا المجال، ومن ثم يتبينون بوضوح أن هذا المستوى فوق الطاقة البشرية قطعاً"[3].

(٥) مرونة أسلوب القرآن وعدم مصادمته للآراء على مر العصور:

إن أسلوب القرآن من اللين والمطاوعة على التقليب، فهو "يفسر في كل عصر بنقص من المعنى وزيادة فيه، واختلاف وتمحيص، وقد فهمه عرب الجاهلية الذين لم يكن لهم إلا الفطرة، وفهمه كذلك من جاء بعدهم من الفلاسفة وأهل العلوم. وأثبتت العلوم الحديثة كثيراً من حقائقه التي كانت مغيبة وفي علم الله ما يكون من بعد، وإن ما عهد من كلام الناس لا يحتمل كل ذلك ولا بعضه، بل هو كلما كان أدنى إلى البلاغة كان نصاً في معناه، ثابتاً في حيزه، تجمد الكلمة أو الجملة على معنى بعينه قد يستقيم وقد ينتقص، وكيفما قلبته رأيته وجهاً واحداً وصفة واحدة؛ لأن الفصاحة لا تكون في الكلام إلا إبانة، وهذه لا تفصح إلا بالمعنى المتعين، وهذا المعنى محصور في غرضه الباعث عليه، وهو أي "القرآن" يتألف الناس بهذه الخصوصية فيه"[4].

---

[1] سورة هود، آية ١.
[2] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، مرجع سابق، ج٢، ص٣٢٤.
[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٣، ص١٧٨٧.
[4] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٢٠٦-٢٠٧.

المبحث الثاني: أسلوب التمني

المطلب الأول: تعريف التمني في اللغة والاصطلاح:

المُنى: بضم الميم: "جمع المُنية، وهو ما يتمنى الرجل، مِنْية على فِعْله وجمعها مُنى"[١].

والأمْنية: "واحدة الأماني، تقول منه: تمنيت الشيء ومنيت غيري تمنية"[٢].

"وهي الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء"[٣].

ويقال "أمنية على أفعولة، والجمع أمانيَّ: مشددة الياء، وأمان مخفف، كما يقال أثافٍ وأثافيَّ، وأضاح وأضاحيَّ لجمع الأثفية والأضحية"[٤].

يقول ابن فارس: "الميم والنون والحرف المعتل اصل واحد صحيح، يدل على تقدير شئ ونفاذ القضاء به، ومنه قولهم منى له الماني أي قدّر له المقدر"[٥].

فتمنيت الشيء أي "قدَّرته، وأحببت أن يصير إلي من المنى وهو القدر"[٦].

فالتمني في اللغة عبارة عن: "تقدير شئ في النفس وتصويره فيها، وذلك قد يكون عن تخمين وظن، وقد يكون عن روية وبناء على أصل"[٧].

"ولكن لما كان أكثره عن تخمين وعدم روية، صار الكذب له أملك، فاكثر التمني تصور مالا حقيقة له"[٨].

قال تعالى: "**أَمْ لِلإِنسانِ ما تَمَنّى**"[٩]، "**فَتَمَنَّوا المَوتَ**"[١٠] وقال: "**وَلَا يَتَمَنَّونَهُ أَبَداً**"[١١].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج١٣، ص٢٠٣، مادة منى.
(٢) إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤، ج٦، ص٢٤٩٨.
(٣) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، (ت ٤٢٥هـ/١٠٣٣م)، مفردات ألفاظ القران، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى، دار العلم والدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٩٩٢، ص٧٧٩.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج١٣، ص٢٠٣.
(٥) أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ج٥، ص٢٧٦.
(٦) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج١٣، ص٢٠٣.
(٧) الراغب الأصفهاني، المفردات، مصدر سابق، ص٧٧٩.
(٨) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج١٣، ص٢٠٣.
(٩) سورة النجم، آية ٢٤.
(١٠) سورة البقرة، آية ٩٤.
(١١) سورة الجمعة، آية ٧.

فالتمني لذلك يطلق على الكذب فالعرب تقول: "أنت تمتني هذا القول أي تختلقه وفلان يتمنى الأحاديث أي يفتعلها، لأن الكاذب يُقدّر في نفسه الحديث الذي يحبه ثم يقوله[1]. ويقال للأحاديث التي تتمنى الأمانيّ واحدتها أمنية وفي قصيدة كعب:

فَلا يَغُرَّنَكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ إنَّ الأَمَانِيَّ والأَحْلامَ تَضليلُ[2]

وفي حديث عثمان: "ما تمنيت منذ أسلمت"[3] أي ما كذبت. فالتمني "تشهي حصول الأمر المرغوب فيه، وحديث النفس بما يكون وما لا يكون"[4]. وعبارة عن "أمل يقدره في نفسه، تحدثه نفسه بذلك الشيء الذي يرجو"[5].

وكما ذكرنا أن التمني يكون عن تخمين وقد يكون عن روية وبناء على أصل ففي الحديث "إذا تمنى أحدكم فليكثر، فإنما يسأله ربه"[6]. "أي إذا سال الله حوائجه وفضله فليكثر، فان فضل الله كثير، وخزائنه واسعة"[7].

ويطلق التمني أيضاً على "التلاوة"[8]، ومنه قوله تعالى: "**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ**"[9]، أي تلاوته[10]، "فيحصل في نفوس كفار قريش تقدير أوهام لما ألقاه الشيطان في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم"[11].

وبناءً على ما تقدم يظهر أن الأمر الجامع بين معاني مفردات جذور الكلمة أنها تدور حول معنى التقدير.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج١٣، ص٢٠٣.
(2) المصدر ذاته، ج١٣، ص٢٠٣.
(3) سليمان أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ/٩٩٠م)، المعجم الكبير، حققه حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، ج١، ص٨٥ رقم ١٢٥.
(4) محمد الجزري بن الأثير (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث، تحقيق محمود محمد الطناحي، دار الفكر، بيروت، ج٤، ص٣٦٧.
(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج٥، ص٢٧٦.
(6) علاء الدين علي بن بلبان (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حققه شعيب الارنؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م، ج٣، ص١٧٢ رقم ٨٨٩.
وانظر علي ابن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ج١٠، ص١٥٠.
(7) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، مصدر سابق، ج٤، ص٣٦٧.
(8) المصدر ذاته.
(9) سورة الحج، آية ٥٢.
(10) الراغب الأصفهاني، المفردات، مصدر سابق، ص٧٧٩.
(11) محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٨م)، فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير، الناشر دار المعرفة، بيروت، ج٣، ص٤٦٢.

والتمني في الاصطلاح هو: "طلب أمر محبوب في المستقبل"[1] أو "الماضي"[2] "لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلاً، وإما لكونه ممكناً غير مطموع في نيله"[3]، فإذا كان المطلوب الممكن متوقعاً كان الكلام ترجياً والعبارة عن ذلك تكون بلعل وعسى. وليس معنى هذا أن التمني للأمر المستحيل تحققه أبداً، والترجي لطلب الممكن حصوله دائماً، هذا الاعتقاد خال من الدقة. ذلك أن التمني للمستحيل، وقد يكون لغير المستحيل، كما في قوله تعالى: "**يَا لَيْتَنَا لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ**"[4]، فهذا التمني ممكن، وليس مستحيلاً، لكن صعوبة تحققه تجعل المتمنين غير متوقعين له.

وهناك فروق أخرى بين التمني والترجي منها "أن التمني طلب حصول الشيء المحبوب دون أن يكون للمتمني طمع وترقب في حصوله"[5]، أما إن كان المتمنى من الأمور التي يمكن الحصول عليها، انتقل الأمر من التمني إلى الترجي، فتقول: ليت لي مالاً فأحج فيه، فإذا كان المال مرجو الحصول عليه؛ ومتوفراً، فتقول: لعل لي مالاً فأحج فيه، وهذا الشيء يرجع إلى النفس بالدرجة الأولى، لأنه فرق بين نوعين من الإحساس "فالمعاني التي نعدها من باب التمني ذات طبيعة خاصة، فهي من المعاني التي تتعلق بها القلوب وتشتاقها سواء أكانت بعيدة أم مستحيلة"[6].

وفرّق بعضهم بين التمني والترجي "بأن التمني في البعيد والترجي في القريب"[7]. فمعاني التمني عبارة عن رغبات بعيدة "ولكن البعد في التمني ربما لا يكون بعداً بالنسبة للواقع، أو العرف، أو العقل، وإنما هو بعد من حيث إحساس النفس به، فتقول: ليتني ألقى فلاناً، فهذا الأمر قد لا يكون بعيداً في واقع الأمر، ولكن لشدة الرغبة وعظيم التعلق يوهم أن غير الواقع واقع"[8]. فالمعاني في أسلوب التمني معانٍ فيها تلهف وشوق "فالمرء يهرب إليه حيث تفوق

---

(1) يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤، در الكتب الخدوية، ج٣، ص٢٩١.

(2) ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٤٢هـ، ج٢، ص٢٤٣.

(3) بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، الطبعة الثانية مطبعة السعادة بمصر، ١٣٤٢هـ، ج٢، ص١٣٨.

(4) سورة القصص، آية ٧٩,

(5) ابن يعقوب، مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ج١، ص٢٤٥.

(6) محمد أبو موسى، دلالات التراكيب دراسة بلاغية، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، ص٢٠٤.

(7) أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ/١٦٦٣م)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢، ص٤٦٨.

(8) محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، مرجع سابق، ص٢٠٤.

طموحاته واقعه المحدود، لذا يلجأ إلى أحلامه الحبيسة يصوغها أمنيات هفهافة، وورودا رفافة من عالم النفس المزدحم بالرؤى الهامسة"[1].

يقول مالك بن الريب:

"ألا ليْتَ شِعْري هَلْ أبيتن ليلةً بجَنْبِ الغَضا أُزْجِي القِلاصَ النَواجيا
فليْتَ الغَضَا لَمْ يَقْطَعِ الرَّكْبَ عَرْضُهُ وَلَيْتَ الغَضَا مَاشَى الرِّكَابَ لياليا"[2]

"الذي يتمناه مالك أن يبيت ليلة واحدة بجانب الغضا وليس مبيته ليلة في موطنه الذي يشتاقه من الأمور المستبعدة في عرف أو عقل، ولكنها كذلك في نفس الشاعر"[3].

ويقول الشنفري:

"وَلاَ تقْبُرُونِي إنَّ قَبْرِي مُحَرَّم عَلَيْكُمُ وَلَكِنْ أبْشِرِي أُمَّ عَامِرِ"[4]

فهو "يتمنى أن لا يقبر، وأن يترك بالعراء في ساحة الحرب تنوشه السباع، ويبشر أم عامر وهي الضبع بجسده، حتى يخلد في سجل قتلى الجاهلية المجيد"[5].

وقد أدرك ابن يعقوب المغربي القيمة النفسية لهذا الأسلوب حين ذكر أن تمني ما لا سبيل إليه قد يكون "لمجرد الاعتذار أو الاستعطاف للمخاطب أو لمجرد موافقة الخاطر والترويح على النفس"[6].

قال معمر بن عباد: "الأمانيَ للنفس: مثل الترهات[7] للسان"[8].

---

[1] صباح عبيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص٢٨٤.
[2] عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)، خزانة الأدب ولباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ج٢، ص٢٠٣.
[3] محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، مرجع سابق، ص٢٠٥.
[4] أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، الحماسة /شرح المرزوقي، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد أمين، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١، ج٢، ص٤٨٧.
[5] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، ص٦٤.
[6] ابن يعقوب، مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ج١، ص٢٤٠.
[7] أي الأباطيل.
[8] عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، كتاب الحيوان، تحقيق محمد باسل وعبود السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج٣، ص١٠٦.

قال الشاعر:

إذا تمنيت مالا بت مغتبطا إن المنى رؤوس أموال المفاليس
لولا المنى مت من هم ومن حزن إذا تذكرت ما في داخل الكيس[1]

التمني في القرآن:

ورد التمني في القرآن الكريم بالاسم[2] والفعل والحرف. أما التمني بالاسم فكان وروده في موضع واحد في القرآن الكريم.

وأما الفعل فقد كان التمني واقعا بـ"ود" في خمسة عشر موضعا.

وأما الحرف، فالحرف الموضوع للتمني هو "ليت"، وقد ورد في أربعة عشر موضعا في القرآن الكريم.

وخرجت بعض الحروف عن أصل وضعها فأفادت التمني وهي:

"لو": وقد ورد التمني بها في ثلاثة مواضع.

"هل": وقد ورد التمني بها في ثلاثة مواضع.

"لولا": وقد ورد التمني بها في موضع واحد.

"لعل": وقد ورد التمني بها في موضع واحد.

التمني بالاسم:

في قوله تعالى "**إذ قالت امرأت عمران، رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ***".

كانت امرأة عمران –أم مريم– قد نذرت ما في بطنها "معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لها عليه ولا تستخدمه ولا تشغله بشيء، وما كان التحرير إلا للغلمان"[3].

---

[1] المصدر ذاته، ج٣، ص١٠٦.
[2] أنوليتمان، "باب أسماء التمني"، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، المجلد الحادي عشر، الجزء الأول، مايو، ١٩٤٩، ص٩.
[3] سورة آل عمران، آية ٣٥-٣٦.

فدعت الله -عز وجل- أن يتقبل منها نذرها، ولما ولدتها قالت "**رب إني وضعتها أنثى**" "قالته تحسراً على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها، فحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً، ولذلك نذرته محرراً للسدانة"[١].

ولكن الله -عز وجل- قال "**والله أعلم بما وضعت**"، فالله العالم بما وضعت "تعظيماً لموضوعها وتجهيلاً لها بقدر ما وهب لها منه"[٢].

ثم قالت اعتذاراً إلى ربها "وليس الذكر كالأنثى"، "لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس، والقيام بخدمة الكنيسة"[٣].

ومع ذلك أوفت امرأة عمران بنذرها في ابنتها وتمنت أن تتحقق أمنيتها فيها، لذلك جدها تذكر تسميتها مريم لربها، لأن "مريم في لغتهم بمعنى العابدة، فأرادت بذلك التقريب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها، وأن يصدق فيها ظنها بها"[٤]. و"أعاذتها بالله من طعن الشيطان الذي يستهل به المولود صارخاً"[٥].

فرضي الله بها مكان الغلام "فتقبلها ربها بقبول حسن"[٦].

---

[١] الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج١، ص٥٤٩.
[٢] المصدر ذاته، ج١، ص٥٥٠.
[٣] الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مصدر سابق، ٣٣٦/٦.
[٤] الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج١، ص٥٥١.
[٥] علي بن محمد الماوردي (٤٥٠هـ) النكت والعيون، المعروف بتفسير الماوردي، تحقيق السيد بن عبد المقصود، الطبعة الأولى، مؤسسة الثقافة، بيروت، ١٩٩٢، ج١، ص٣٨٧.
[٦] سورة آل عمران، آية ٣٧.

الفصل الثاني

أسلوب التمني في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية

المبحث الأول: التمني بالفعل.

المبحث الثاني: التمني بالحرف.

المبحث الأول

التمني بالفعل

معنى فعل التمني "ودَّ":

الوُد: بضم الواو وتشديد الدال: "محبة الشيء وتمني كونه"[1]. وقيل هو "المحبة الكاملة"[2].

من التعريفين السابقين يتبين أن معنى ود يدور حول المحبة "ومن أحبَّ الشيء تمناه"[3]، والمحبة في "ود" تكون محبة مفرطة، لذلك كان الودُّ "خصوص التمني"[4]، فود التي تقتضي التمني يكون بها شدة تعلق في تحقق المتمنى.

قال أبو مسلم الأصبهاني "ود": بمعنى " "تمنى" يستعمل معها "لو" و"أن"، وربما جمع بينهما نحو: ودوُّا لو أن فعل، ومصدره الوداده، والاسم منه وُدَّ. وقد يتداخلان في الاسم والمصدر"[5].

وقد ورد الفعل "وَدَّ" الذي يقتضي معنى التمني في القرآن الكريم على لسان المؤمنين، والكافرين، وأهل الكتاب، والمنافقين، وفيما يلي سأذكر السياقات التي وردت بها من خلال الأمثلة التالية:

المثال الأول: حرص اليهود على الحياة:

قال تعالى: "**ولتجدنَّهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعلمون**"[6].

اليهود من أشد الناس حرصاً على الحياة الدنيا، حتى أكثر من المشركين، وأشد الناس كراهية للموت "لعلمهم بما أعد لهم في الآخرة على كفرهم، لأنهم يؤمنون بالبعث، ويعلمون ما

---

(1) الأصفهاني، مفردات القرآن، مرجع سابق، ص٨٦٠.
(2) محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٢، ص٨٦٠.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص٦٥٢.
(4) الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص٨٦٠.
(5) الزركشي، البرهان، مرجع سابق، ج٤، ص١٦٧.
(6) سورة البقرة، آية ٩٦.

لهم هناك من العذاب، والمشركون لا يصدقون بالبعث ولا العقاب، فاليهود أحرص منهم على الحياة وأكره للموت"[1].

والحياة التي يحرص اليهود عليها "كيفما كانت تلك الحياة لذلك نكر الحياة"[2].

وهم لا يتمنون الموت أبداً وإنما لفظ ألف عند العرب "منتهى أسماء العدد، فيعبر به عن المبالغة في الكثرة، لأنه يعرف من نفسه أنه مخالف لكتابه ويتوقع سخط الله وعقابه، فيرى الدنيا على ما فيها من المنغصات خير له من الآخرة، وما يتوقعه فيها"[3].

وهذا الخلق الذميم عند اليهود "مرتبط بسلسلة رذائلهم وقبائحهم الأخلاقية، وله صلة وثيقة بالجبن والذل والمسكنة..، وإنه لا يعجب بهذه الحياة ولا يقبل بها ولا يحرص عليها إلا من كانت له شخصية يهود ونفسيتهم وأخلاقهم"[4].

المثال الثاني: كراهية الكفار إنزال الخير على المسلمين:

قال تعالى: "**ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم**"[5].

يحذر الله عباده المؤمنين من شدة عداوة الكفار لهم، فهم يتمنون ألا ينزل عليكم أي خير من عند الله، حيث أنهم يرون أنفسهم أحق بهذا الخير منكم.

"فالذين كفروا جنس تحته نوعان: أهل الكتاب والمشركون"[6]، فكلا النوعين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من الخير.

وفي هذه الآية يبين الله للكفار خطأ تصوراتهم ومفاهيمهم "بأن نعمه لا تدرك بالأماني، ولكنها مواهب منه يختص بها من يشاء من خلقه"[7].

---

(1) محمد بن جرير الطبري أبو جعفر (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق محمد محمود شاكر وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، بمصر، ج٢، ص٣٧٠.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص٦١٧.
(3) محمد رشيد رضا، المنار، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٣، ج١، ص٣٩١.
(4) صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨، ص٢٣٩.
(5) سورة البقرة، آية ١٠٥.
(6) محمد بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، تحقيق عادل أحمد عبد الواحد وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨، ج١، ص٣١٨.
(7) الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مرجع سابق، ج٢، ص٤٧٠.

المثال الثالث: مودة الأحبار والرؤساء رجوع المسلمين إلى الشرك:

قال تعالى: "**ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير**"[1].

هذه الآية بيان لما يضمره أهل الكتاب "وما تكنه صدورهم للمسلمين من الحسد على نعمة الإسلام التي عرفوا أنها الحق وأن وراءها السعادة في الدارين"[2].

وإنما أسند الحكم إلى الكثير منهم في هذه الآية، فقال: "**ودَّ كثير من أهل الكتاب**" وقد أسنده إليهم جميعاً في قوله "**ما يودُّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين**"[3]: "لأن أحبارهم وعلماءهم قد علموا أن ما صار إليه المسلمون خير مما كانوا عليه من الشرك؛ لأنهم صاروا إلى توحيد الله والإيمان بأنبيائه ورسله وكتبه، وفي ذلك إيمان بموسى وعيسى، فهم وإن لم يتبعوا ديننا إلا أنهم لا يودون رجوع المسلمين إلى الشرك القديم؛ لأن في مودة ذلك تمني الكفر وهو رضى به، أما عامتهم وجهلتهم فقد بلغ بهم الحسد والغيظ إلى مودة أن يرجع المسلمون إلى الشرك ولا يبقوا على هذه الحالة الحسنة الموافقة لدين موسى في معظمه، نكاية بالمسلمين وبالنبي ﷺ"[4]، "فتمنوا أن يحرموا هذه النعمة ويرجعوا كفاراً كما كانوا، وذلك شأن الحاسد"[5]، يتمنى سلب النعمة عن محسوده وإن لم تكن تضره، فكيف وهم يعلمون أن هذه النعمة على المسلمين ستكون سبباً في سيادتهم على الأرض ودخول اليهود والنصارى تحت سلطانهم.

وفي التعبير بـ "**لو يردونكم**" دون "**لو كفرتم**": "إشارة إلى أنهم يودون رجوع المسلمين إلى الشرك الذي كانوا عليه من قبل؛ لأن الرد إنما يكون إلى أمر سابق، ولو قيل "لو كفرتم" لكان فيه بعض العذر لأهل الكتاب لاحتماله أنهم يودون مصير المسلمين إلى اليهودية، ولكنهم من حقدهم وحسدهم يودون أن يرجع المسلمون كفاراً بالله كفراً متفقاً عليه حتى عند أهل الكتاب وهو الشرك"[6].

---

[1] سورة البقرة، آية ١٠٩.
[2] محمد رشيد رضا، المنار، مرجع سابق، ج١، ص٤٢.
[3] سورة البقرة، آية ١٠٥.
[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص٦٦٩.
[5] محمد رشيد رضا، المنار، مرجع سابق، ج١، ص٤٢٠.
[6] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١، ص٦٧٠.

ثم بين سبحانه أن تمنيهم هذا وحسدهم للمسلمين ليس بسبب عداوة دينية أو غيرة على حق يعتقدونه وإنما هو "خبث النفوس وفساد الأخلاق والجمود على الباطل وإن ظهر لصاحبه الحق"[1]، فقال: "**حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق**".

ثم أمر سبحانه عباده المؤمنين بالعفو والصفح عن أولئك الحاسدين الحاقدين، وأن يقابلوهم بما يليق من محاسن الأخلاق "**فاعفوا واصفحوا**"، وفي هذا الأمر "إشارة إلى أن المؤمنين على قلتهم هم أصحاب القدرة والشوكة، لأن الصفح إنما يطلب من القادر"[2].

المثال الرابع: تمني الناس البعد عن يوم القيامة:

قال تعالى: "**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد**"[3].

"يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرَّها حاضرين، تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله مسافة بعيدة"[4].

ومن رحمته سبحانه بعباده أنه حذرهم نفسه؛ لأن "العباد إذا عرفوه حق المعرفة، وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه"[5].

فالتحذير "تبعيد من الوقوع وليس انتشالاً بعد الوقوع"[6]، ورأفة الله شاملة لكل الناس، مسلمهم وكافرهم، لذلك كان التعريف في العباد للاستغراق "والله رؤوف بالعباد"[7].

المثال الخامس: تمني الأحبار والرؤساء إلقاء الشك في نفوس المؤمنين:

قوله تعالى: "**ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون**"[8].

جاءت هذه الآية بعد دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام الذي كان عليه إبراهيم والأنبياء، وجدال اليهود والنصارى في إبراهيم -عليه السلام- فزعم اليهود أنه كان يهودياً وزعم النصارى أنه كان نصرانياً.

---

(1) محمد رشيد رضا، المنار، مرجع سابق، ج١، ص٤٢٠.
(2) المرجع ذاته.
(3) سورة آل عمران، آية ٣٠.
(4) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج١، ص٥٤٦.
(5) المرجع ذاته.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٤.
(7) سورة آل عمران، آية ٣٠.
(8) سورة آل عمران، آية ٦٩.

ولكن الله يقرر أن إبراهيم -عليه السلام- ما كان يهودياً ولا نصرانياً؛ لأنه سابق للتوراة والإنجيل "**ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين**"[1].

ثم يواجه الله -عز وجل- أهل الكتاب بحقيقة ما يريدونه من وراء هذا الجدال، يواجههم بكيدهم، فهم يقصدون "ذبذبتكم وجعلكم على غير هدى في نظر أهل الكتاب"[2], بإلقاء الشك في نفوس الصحابة ليصدوهم عن الإسلام لكي لا يتأثر أحد بهذا الدين؛ لأن الذين يودون ذلك هم طائفة "الرؤساء والأحبار الذين يسكن الناس إلى قولهم"[3].

ولكن الله يبين أنهم يوقعون أنفسهم في الهلاك في حين يريدون إهلاك المسلمين "لاستحقاقهم بذلك غضب الله، وسخطه، ولعنته لكفرهم بالله، ونقضهم الميثاق الذي أخذ الله عليهم في كتابهم في إتباع محمد ﷺ وتصديقه، والإقرار بنبوته"[4].

المثال السادس: تمني الكفار للمسلمين أشد الضرر والمشقة:

قوله تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**"[5].

يحذر الله -عز وجل- المؤمنين من خطر اتخاذ غير المؤمنين أصفياء وأخلاء دون المؤمنين، وشبه ذلك الاتخاذ "**بالبطانة**"؛ لأنه "بمنزلة ما يلي بطنه من شدة القرب منه"[6].

ثم بيَّن سبحانه السبب في منع المؤمنين من اتخاذ الكفار أخلاء يأنسون بهم ويأخذون بآرائهم لأمور:

أولاً: "لا يألونكم خبالاً".

أي "لا يدعون جهداً في مضرتكم وفسادكم"[7].

---

(1) سورة آل عمران، آية ٦٧.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٣، ص٢٧٨.
(3) عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ/١١٥١م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري، الطبعة الأولى، الدوحة، ١٩٧٩، ج٣، ص١٦٣.
(4) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، مرجع سابق، ج٦، ص٥٠٠.
(5) سورة آل عمران، آية ١١٨.
(6) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج٨، ص٢١٠.
(7) المصدر ذاته.

ثانياً: "ودّوا ما عنتم".

العنت: "شدة الضرر والمشقة، أصله انهياض العظم بعد جبره أي: تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه"[1].

ثالثاً: "قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر".

وتأكدت أسباب المعاداة منهم "بألسنتهم إقامتهم على كفرهم وعداوتهم من خالف ما هم عليه مقيمون من الضلالة"[2]. وهذا السبب "من أوكد الأسباب في معاداتهم أهل الإيمان، لأن ذلك عداوة على الدين، والمعاداة على الدين، العداوة التي لا زوال لها إلا بانتقال أحد المتعادين إلى ملة الآخر منهما"[3].

وقد خصَّ الأفواه بالذكر دون الألسنة "إشارة إلى تشدقهم وثرثرتهم في أفواههم هذه"[4].

لتلك الأسباب نهى الله المؤمنين عن اتخاذ الكفار بطانة من دون المؤمنين، ففيها عظة وعبرة.

المثال السابع: مودة الكفار يوم القيامة أن يكونوا هم والأرض سواء:

قوله تعالى: "**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً، يومئذٍ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً**"[5].

هذه الآيات توبيخ وتقريع للكفار الذين جحدوا وحدانية الله عز وجل وعصوا رسوله، وبيان لما يكون عليه حالهم يوم القيامة من الخوف والذل والهوان.

ففي ذلك اليوم سيؤتى بكل أمة من الأمم السابقة وعليها شاهد من رسلهم الذين بعثوا فيهم، يشهدون أنهم بلغوهم الدين، وحذروهم لقاء الله عز وجل وبيّنوا لهم عاقبة كفرهم، وجيء بمحمد ﷺ شهيداً على أمته، حينها يتبين للكفار الذين عصوا الله ورسوله؛ أن ما أخبرهم به النبي ﷺ قد وقع بالفعل، ويرون العذاب الشديد المعد لهم جزاءً لكفرهم، ويعلمون حق العلم أنهم لا مفر لهم ولا مخرج ولا عذر، فتنقطع دونهم الأسباب، ويتمنون في ذل وهوان "**لو تسوى بهم**

---

(1) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج١، ص٦١٦.
(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج٧، ص١٣٨.
(3) المرجع ذاته.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق، ج٣، ص٢٨٥.
(5) سورة النساء، آية ٤٢.

الأرض" أي "أن لو انفتحت لهم الأرض فساخوا فيها"[1]، أي يدخلوا باطنها ويكونوا جزءاً منها فلا يظهروا للعذاب. وهذا على قراءة "**تَسّوى**" بفتح التاء وتشديد السين أو تخفيفها، وقرأت "**تُسّوى**" بالبناء للمفعول، والمعنى: أنهم يتمنون "أن لو سوى الله بهم الأرض فيجعلهم والأرض سواء حتى لا يبعثوا"[2]، "أي أن ترتفع الأرض فتسوى في الارتفاع بأجسادهم فلا يظهروا، وذلك كناية عن شدة خوفهم وذلهم، فينقبضون ويتضاءلون حتى يودوا أن يصيروا غير ظاهرين على الأرض"[3].

قوله تعالى: "**ولا يكتمون الله حديثاً**" مستأنف، أي ولن يستطيعوا أن يكتموا الله حديثاً؛ لأن ما عملوه ظاهر عند الله -عز وجل- لا يقدرون على كتمانه، حتى وإن جحدته أفواههم فإن جوارحهم ستشهد عليهم بقدرة الله، وقيل إن قوله: "**ولا يكتمون الله حديثاً**" معطوف على "**يودّ**" والمعنى "أنهم يودون أن الأرض سويت بهم وأنهم لم يكتموا الله حديثاً لأنه ظهر كذبهم"[4].

المثال الثامن: حقد المنافقين وحسدهم للمؤمنين:

قوله تعالى: "**ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً**"[5].

"اختلف أصحاب رسول الله ﷺ في قوم من أهل مكة أسلموا ثم ارتدوا عن الإسلام، فقالت طائفة منهم: نقتلهم، وقالت طائفة: لا"[6].

فبيّن الله سبحانه في هذه الآيات صفتهم ونفاقهم وكشف خبثهم، وحذر المؤمنين منهم، فقال: "**فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً**"[7].

---

(1) محمد علي الشوكاني (ت١٢٠٦هـ/١٧٩٣م)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الناشر دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٤٦٧.
(2) المرجع ذاته.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٥، ص٥٩.
(4) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج١، ص٤٦٧.
(5) سورة النساء، آية ٨٩.
(6) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج٩، ص١٧.
(7) سورة النساء، آية ٨٨.

ثم قال سبحانه كاشفاً عما في قلوب هؤلاء المنافقين من الحسد للمؤمنين: "**ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء**": أي أن هؤلاء المنافقين الذين اختلفتم فيهم "وترجون نصرهم لكم وتطمعون في هدايتهم ليسوا من الكفار القانعين بكفرهم الغافلين عن غيرهم"[1]، بل هم من المصرين عليه، ويظهر هذا في "تمنيهم أن تكفروا، فتجحدوا وحدانية ربكم كما جحدوا هم ذلك، فتكونون كفاراً مثلهم وتستوون أنتم وهم في الشرك بالله"[2]، ويقضى على الإسلام الذي أنتم عليه ويزول من الأرض، وهذا إن دل على شيء فهو إنما يدل على الحقد الدفين في نفوس المنافقين والحسد الكامن في صدورهم للمؤمنين لما يرونه من ظهور لهم وعلو في الدنيا، وهذا نظير قوله تعالى: "**ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق**"[3].

"وما أبلغ التعبير في جانب محاولة المؤمنين بالإرادة في قوله "**أتريدون أن تهدوا من أضل الله**"، وفي جانب محاولة المنافقين بالود، لأن الإرادة ينشأ عنها الفعل، فالمؤمنون يستقربون حصول الإيمان من المنافقين، لأن الإيمان قريب من فطرة الناس، والمنافقون يعلمون أن المؤمنين لا يرتدون عن دينهم ويرون منهم محبتهم إياه، فلم يكن طلبهم تكفير المؤمنين إلا تمنياً، فعبر عنه بالود المجرد"[4].

ثم ينهى الله سبحانه المؤمنين عن اتخاذ هؤلاء المنافقين وأمثالهم أولياء، حتى يهاجروا إليكم ويظهروا إسلامهم، وإلا فهم كفار، مباحو الدم، "**فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً**".

المثال التاسع: تمني الكفار غفلة المؤمنين عن أسلحتهم ليقضوا عليهم:

قال تعالى: "**وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلّوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة**"[5].

---

(1) محمد رشيد رضا، المنار، مرجع سابق، ج٥، ص٣٢٤.
(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج٩، ص١٧.
(3) سورة البقرة، آية ١٠٩.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٥، ص١٥١.
(5) سورة النساء، آية ١٠٢.

أوجب الله -عز وجل- الصلاة على عباده في جميع الأوقات، ولم يسقطها عنهم بحال من الأحوال، فهي فرض لازم لا تسقط بحال من الأحوال، ولكن قد يعرض للمرء أحوال يتعذر عليه فيها إقامة الصلاة في وقتها، أو يتعسر عليه الإتيان بهيئاتها؛ كأن يكون المرء مريضاً أو في حال سفر أو حرب، ومن رحمة الله -عز وجل- أن شرع صلاة الخوف في حال القتال والمواجهة مع العدو، فبيّن سبحانه في هذه الآيات صفة صلاة الخوف، ثم ذكر الحكمة من شرع هذه الصلاة، ثم أمر عباده بأخذ الحذر من العدو في جميع الأحوال.

فقال سبحانه مبيناً الحكمة من مشروعية صلاة الخوف بعد أن بيّن صفتها "**ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم**".

هذه الآية إخبار عن معتقد الكفار وما يتمنونه في أنفسهم، إذ أنهم يعتقدون "أن اشتغال المسلمين بأمور دينهم يباعد بينهم وبين مصالح دنياهم؛ جهلاً منهم بحقيقة هذا الدين، فطمعوا أن تلهيهم الصلاة عن الاستعداد لأعدائهم"[1]، "وتمنوا لو تشتغلون بصلاتكم عن أسلحتكم التي تقاتلونهم بها، وعن أمتعتكم التي بها بلاغكم في أسفاركم، فتسهون عنها، فيحملون عليكم حملة واحدة فيصيبون منكم غرة بذلك، فيقتلونكم ويستبيحون عسكركم"[2]، فلا تمكنوا عدوكم من أنفسكم باشتغالكم جميعاً بالصلاة إذا حضرت، ولكن أقيموا الصلاة على ما بينت لكم وخذوا من عدوكم حذركم، فنبه الله المؤمنين إلى ذلك "ليعودهم بالأخذ بالحزم في كل الأمور وليريهم أن صلاح الدين والدنيا صنوان"[3].

المثال العاشر: تمني المؤمنين الحصول على الغنيمة من غير قتال:

قوله تعالى: "**وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون**"[4].

يذكر الله -عز وجل- عباده المؤمنين بنعمة من نعمه عليهم، ألا وهي نصره لهم في غزوة بدر، ويخبرهم عما كان في أنفسهم من حب للدنيا وطمع في تحصيل الفائدة العاجلة،

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٥، ص١٨٧.
(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج٩، ص١٦٢.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٥، ص١٨٧.
(4) سورة الأنفال، آية ٧.

وحرص على ألا يحصل لهم ما يضرهم في أبدانهم وأموالهم، وما يريده سبحانه ويحبه لهم من تطلع لمعالي الأمور، ونصرة للحق وعلو للكلمة والفوز في الدارين.

فقد ورد "أن النبي ﷺ أخبر أصحابه وهم في المدينة؛ أن عيراً لقريش قد أقبلت وفيها تجارتهم، فلما خرجوا لملاقاتها وصلهم أن العير قد انصرفت نحو الساحل وأن المدد قد جاءها من مكة، فاستشار عليه السلام أصحابه: أيختارون اللحاق بالعير أم يقصدون نفير قريش؟ فقال الناس: إنما خرجنا لأجل العير، وراموا اللحاق بالعير، وقالوا: ما لنا طاقة بقتال القوم، واعتذروا بضعف استعدادهم، فلما أخبرهم عليه السلام أن الله قد وعدهم إحدى الطائفتين؛ طابت أنفسهم واجتمعوا واصطفوا للقتال"[1].

"ولعل الاستشارة كانت صورية، أمر الله بها نبيه لتثبيت المسلمين لئلا تهن قوتهم النفسية إن علموا بأنهم سيلقون ذات الشوكة"[2]. فهذا معنى قوله "**وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم**" أي "تتمنون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة، ولا تريدون الطائفة الأخرى"[3]. وفي التعبير عن العير بـ"**غير ذات الشوكة**": "تعريض بكراهة المؤمنين للقتال وطمعهم في المال"[4].

"**ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين**": ولكن الله سبحانه أراد التوجه إلى الطائفة الأخرى ليحق الحق بكلماته، ويكسر قوة المشركين بضعف المؤمنين، ويغلب كثرتهم بقلتهم، ويعز المؤمنين ويذل الكافرين ويقطع دابرهم، ويحصل للمؤمنين النصر والغنيمة. والمقصود من الإخبار بهذه الآيات: "إظهار أن ما يودونه ليس فيه كمال مصلحتهم، وأن الله اختار لهم ما فيه كمال مصلحتهم وإن كان يشق عليهم ويرهبهم، فإنهم لم يطلعوا على الأصلح لهم فهذا تلطف من الله بهم"[5].

المثال الحادي عشر: تمني الكفار يوم القيامة أن لو كانوا مسلمين:

قوله تعالى: "**ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين**"[6].

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٩٨ بتصرف.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٨، ص٢٧٠.
(3) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق ج٢، ص٥٥٦.
(4) محمد رشيد رضا، المنار، مرجع سابق، ج٩، ص٦٠٠.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٨، ص٢٧٠.
(6) سورة الحجر، آية ٢.

هذه الآية إخبار من الله -عز وجل- عن حال الكفار عند موتهم أو يوم القيامة حينما ينكشف لهم الأمر، ويتضح لهم بطلان ما كانوا عليه من الكفر، ويعاينوا ما أعده الله لهم من العذاب، وفيها تهكم وتخويف للكفار حتى يستدركوا ما فاتهم ويؤمنوا بالله -عز وجل- ماداموا في دار العمل.

فعندما ينكشف لهم الأمر في ذلك اليوم، ويتضح لهم أنهم لم يكونوا على شيء، تصدر منهم أمنيات "لا تُسمن ولا تُغني من جوع بل هي لمجرد التحسر والتندم، ولوم النفس على ما فرطت في جنب الله"[١]. وقد فاتها زمن العمل، فيودوا لو كانوا أسلموا.

"والإتيان بفعل الكون الماضي، للدلالة على أنهم يودون الإسلام بعد مضي وقت التمكن من إيقاعه"[٢].

والغالب في "رب" أنها إذا دخلت على الأفعال أريد بها التقليل، فإن قيل: فما معنى التقليل في الآية؟ أجيب: "لأنهم ودوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها لشغلهم بالعذاب"[٣]. وقيل "إنه مستعمل في التهكم والتخويف، أي احذروا ودادتكم أن تكونوا مسلمين فعلها أن تقع نادراً؛ كما يقول العرب في التوبيخ "لعلك ستندم على فعلك" وهم لا يشكون في تندمه وإنما يريدون أنه لو كان الندم مشكوكاً فيه لكان حقاً عليك أن تفعل ما قد تندم على التفريط فيه لكي لا تندم"[٤]. وقيل "المعنى في الآية: لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة، فبالحري أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودونه في كل ساعة"[٥].

المثال الثاني عشر: شدة جبن المنافقين:

قوله تعالى: "**يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً**"[٦].

لا يزال المنافقون منذ أظهروا إسلامهم، يتربصون بالمؤمنين الدوائر، ويخذلونهم في كثير من المواطن التي يحتاجون فيها إلى أقل نصرة ويثبطون المؤمنين عن الجهاد في سبيل الله، ويبثون فيهم الخوف والجبن، فتخلفوا عن القتال في غزوتي بدر وأحد.

---

(١) الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج٣، ص١٢١
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٣، ص١٢١.
(٣) الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ص١٢١.
(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٤، ص١٠.
(٥) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج٣، ص٣٩٦.
(٦) سورة الأحزاب، آية ٢٠.

وهاهم في غزوة الخندق، عندما اجتمع الأحزاب حول المدينة يريدون غزوها والقضاء على هذا الدين، يبثون الشك بوعد الله للمؤمنين بالنصر، فيقولون "**ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً**"[1]، ويخذلون المؤمنين فيستأذنون النبي ﷺ في الرجوع إلى منازلهم وترك معسكر المؤمنين محتجين بخوفهم على بيوتهم "**ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً**"[2] أي "وما يريدون من ذلك إلا الهرب والفرار من العدو من شدة خوفهم وجبنهم"[3]. ويصف الله -عز وجل- خوفهم وجبنهم وصفاً بليغاً، فيقول سبحانه "**فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت**"[4].

ولما كانوا قد انسحبوا من المعسكر وعادوا إلى بيوتهم -بعد أن رأوا خطورة الأمر- ولم يصلهم خبر انهزام الأحزاب بعد؛ كانوا لا يزالون من خوفهم وهلعهم يظنون أن الأحزاب لم يذهبوا بل يريدون الكرة إلى المدينة "وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب" "يخبر سبحانه عن معتقد هؤلاء المنافقين: أن ودهم إذا أتى الأحزاب وحاصروا المدينة، أن يكونوا هم قد خرجوا إلى البادية ومع الأعراب حتى يسلموا من القتال"[5]. "فهو وصف لجبن المنافقين أي لو جاء الأحزاب كرة أخرى لأخذ المنافقون حيطتهم فخرجوا إلى البادية بين الأعراب القاطنين حول المدينة وهم غفار وأسلم وغيرهم"[6].

"يسألون عن أخباركم"، أي يسألون عما يجري عليكم، ليسرهم ما عسى أن يلحق بكم من الهزيمة. أي أنهم "يتمنون أنهم بعيد عنكم يسألون عن أخباركم من غير مشاهدة للقتال لفرط جبنهم وضعف نياتهم"[7].

والود هنا مستعمل "كناية عن السعي لحصول الشيء المودود"[8]، فهم يودون الالتحاق بمنازل الأعراب ما لم يعجزوا، فإن اضطروا إلى القتال فإنهم لن يقاتلوا إلا قليلاً "**ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً**"؛ خوفاً من العار وحمية على الديار.

---

(١) سورة الأحزاب، آية ١٢.
(٢) سورة الأحزاب، آية ١٣.
(٣) الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج٤، ص٢٦٧.
(٤) سورة الأحزاب، آية ١٩.
(٥) ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق، ج١٢، ص٣٥.
(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢١، ص٣٠٠.
(٧) الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج٤، ص٢٧٠.
(٨) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٢، ص٣٠٠.

المثال الثالث عشر: خطورة موادة الكافر:

قوله تعالى: "**إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون**"[1].

يحذر الله –عز وجل– عباده المؤمنين من موالاة الكفار وموادتهم "**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق..**"[2] "فقد يخفى ويظن بعضهم أن في طلب مودة العدو فائدة، ويظن أن في موالاتهم من الدهاء والحزم رجاء نفعهم إن دانت لهم دولة"[3] وخاصة إن كان للعدو نوع سلطة وقوة.

ويبين سبحانه العلة في النهي عن ذلك بأنهم وإن أظهروا لكم المودة الآن إلا أنهم في حقيقة الأمر "إن يظفروا بكم، ويتمكنوا منكم يكونوا لكم أعداءً خالصي العداوة، ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم، ويبسطوا إليكم أيديهم بالضرب والشتم والقتال ونحوه"[4]، وتمنوا ردتكم عن دينكم ورجوعكم إلى الكفر. وجاء فعل التمني ماضياً مع أنه معطوف على مضارع فقال "**وودوا**": "كأنه قيل: وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم"[5]؛ لأنهم حريصون على إيقاع شتى المضار بكم، ويعلمون أن أعظم هذه المضار إصابتكم في دينكم وردتكم عنه إذ هو أعز عليكم من أرواحكم، فتمنوا قبل كل ذلك أن تكونوا كفاراً مثلهم "فإذا مودة أمثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لأنفسكم: وهذا نحو قوله تعالى "**لا يألونكم خبالاً**"[6]"[7].

فزجر الله المؤمنين عن مثل هذا الفعل ورباهم وأدبهم بعبارة رقيقة لطيفة، فإذا كان هذا حالهم معكم إن ظفروا بكم فهل يستحق مثل هؤلاء الأعداء أي نوع من المودة أو المناصحة وهم يكنون لكم كل هذا العداء والحقد في صدورهم.

---

[1] سورة الممتحنة، آية ٢.
[2] سورة الممتحنة، آية ١.
[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٨، ص١٣٩.
[4] الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج٦، ص٩٠.
[5] المرجع ذاته.
[6] سورة آل عمران، آية ١١٨.
[7] الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج٦، ص٩٠.

المثال الرابع عشر: تمني الكفار لين النبي ﷺ:

قوله تعالى: "**فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون**"[1].

حاول كفار قريش بشتى الوسائل والطرق أن يثنوا النبي ﷺ عن دعوته، وقدموا له العروض الكثيرة حتى يتنازل عن هذه الدعوة، "فأرسلوا إليه عتبة بن ربيعة فقال: "يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها: إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ"[2].

وقد ورد "أنهم قالوا للنبي ﷺ في بعض الأوقات لو عبدت آلهتنا وعظمتها لعبدنا إلهك وعظمناه، وودوا أن يداهنهم رسول الله ﷺ ويميل إلى ما قالوا فيميلوا أيضاً إلى قوله ودينه"[3].

وقيل في معنى الآية: "إن الكفار كانوا يودون لو لان لهم رسول الله ﷺ وركن إليهم وإلى آلهتهم، حتى يلينوا له لعبادة ربه"[4]، فكذبهم الله سبحانه في ادعائهم هذا، وحذر نبيه عليه السلام من الاستماع إلى قولهم والركون إليهم ومداهنتهم في الدين واللين لهم ونهاه عن إجابتهم لما ودوا.

"وشبه التليين في القول بالدهن؛ لأن الدهن يُليّن الأشياء والقول الليّن يُليّن الكلام"[5].

يقول تعالى في آية أخرى محذراً نبيه من الاستماع إلى مثل هذه الأقوال أو الميل إليها: "**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً، إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً**"[6].

---

[1] سورة القلم، آية ٩.

[2] محمد الغزالي، فقه السير، الطبعة السابعة، عالم المعرفة، ١٩٧٦، ص١١٣، وحسن الألباني هذه الرواية في تعليقه على الكتاب أنظر الحاشية، ص١١٣.

[3] ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق، ج١٥، ص٣٠.

[4] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تقريب وتهذيب، صلاح الخالدي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧، ج٧، ص٣٧٣.

[5] المرجع ذاته.

[6] سورة الإسراء، آية ٧٤-٧٥.

المثال الخامس عشر: تمني الكافر يوم القيامة الافتداء بأحب الناس إليه:

قال تعـــالى: "**يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذٍ ببنيه وصاحبته وأخيه، وفصيلته التي تؤيه، ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه**"[١].

من شدة أهوال يوم القيامة أن لا يسأل القريب عن قريبه "**ولا يسأل حميم حميماً**"[٢]، وعدم السؤال ليس بسبب عدم رؤيتهم لبعض البعض "يبصرونهم" أي "يبصر الأحماء الأحمـــاء، فـــلا يخفون عليهم، فما يمنعهم من المساءلة أن بعضهم لا يبصر بعضاً، وإنما يمنعهم التشاغل"[٣]. كل بحاله من شدة ما يجد من هول ذلك اليوم.

وعند معاينة الكافر ذلك يتمنى لو يفتدي يعطي الفداء وهو "ما يعطى عوضاً لإنقاذه مـــن تبعه"[٤]. من العذاب ببنيه، وزوجته، وأخيه "وعشيرته التي تضمه إليها، لقرابة ما بينه وبينها"[٥]. كذلك يتمنى لو يفتدي بمن في الأرض جميعاً من الثقلين، ثم ينجيه الافتداء "وكان العطف بـــ"ثم" لدلالتها على استبعاد النجاة"[٦]، والباء "بعد مادة الفداء تدخل على العوض المبذول، فمعنى البـــاء التعويض"[٧].

وبدأ بذكر الأقرب فالأقرب "ليعلم الناس أن الكافر يتمنى لو يفتدي نفسه من عذاب يـــوم القيامة، بأحب الناس إليه، وأقربهم منه نسباً في الدنيا"[٨].

ثم رد الله على هذه الودادة بقوله "كلا التي هي للردع والزجر "وتنبيه على أنه لا ينفعـــه الافتداء ولا ينجيه من العذاب"[٩].

---

[١] سورة المعارج، آية ١١-١٤.
[٢] سورة المعارج، آية ١٠.
[٣] الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج٦، ص٢٠٦.
[٤] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٩، ص١٦٠.
[٥] الطبري، مختصر تفسير الطبري، مرجع سابق، ج٧، ص٢٠٧.
[٦] الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج٥، ص٢٩٠.
[٧] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٩، ص١٦٠.
[٨] الطبري، مختصر تفسير الطبري، مرجع سابق، ج٧، ص٢٠٧.
[٩] الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج٦، ص٢٠٧.

المبحث الثاني

التمني بالحرف

ويشمل خمسة مطالب:

المطلب الأول: أداة التمني "ليت" وسياقاتها في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أداة التمني "لـــو" واستعمالها في السياق القرآني.

المطلب الثالث: أداة التمني "هـــل" واستعمالها في السياق القرآني.

المطلب الرابع: أداة التمني "لـــولا" واستعمالها في السياق القرآني.

المطلب الخامس: أداة التمني "لعـــل" واستعمالها في السياق القرآني.

المطلب الأول: أداة التمني "ليت" وسياقاتها في القرآن الكريم

ليت "أظهر لفظ وضع للتمني"[١]. وهو "حرف تمن، يتعلق بالمستحيل غالباً"[٢] كقول الشاعر:

ألا ليْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ المَشِيبُ[٣]

"وبالممكن قليلاً"[٤]. وقد عرّفه النحاة بأنه "تركيب لطلب الشيء المحبوب الذي لا يتوقع ولا يرجى حصوله أو فيه عسر"[٥].

وهي من الحروف "الناصبة تنصب الاسم وترفع الخبر"[٦] "إذا كان مفرداً، فإن كان غير مفرد حكمت عليه بالرفع"[٧] "وتُبنى على الفتح"[٨]. وهي "وحدها أداة التمني الأساسية"[٩]، "ووراء كلمة ليت ظمأ لا يروى، وأنها تصف آمالا حبيسة ورغائب لا سبيل إلى تحقيقها"[١٠].

وإن كان هناك أدوات تخرج عن معانيها الأصلية، وتستعمل في معاني أخرى، فإننا لا نجد الأمر كذلك في أداة التمني الأساسية "ليت"، فالبلاغيون "لم يتكلموا على إفادة ليت معنى غير معنى التمني، وذلك إنما يدل على عراقة هذه الأداة في أسلوب التمني"[١١].

وقد استعمل التمني في القرآن الكريم بأداة التمني ليت في سياقات متعددة.

---

(١) محمد بن علي الجرجاني (ت ٣٩٤هـ/١٠٠٣م)، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص١١٤.

(٢) عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م)، كتاب حروف المعاني، تحقيق علي توفيق الحمد، الطبعة الأولى، دار الأمل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤، ص٥.

(٣) هذا البيت لأبي العتاهية من شعراء العصر العباسي، ولا يحتج بشعره على قواعد النحو ولا على مفردات اللغة ويذكر هذا الشاهد على سبيل التمثيل لا للاحتجاج.

(٤) عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ/١٣٥٩م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ١٣٥٦هـ، ج١، ص٢٢١.

(٥) عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ/١٣٥٩م)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق إميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ج١، ص١٧٠.

(٦) يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ج٨، ص٨٤.

(٧) علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة، ص١١٣.

(٨) عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م)، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ج٣، ص٢٦٠.

(٩) السكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص١٤٧.

(١٠) محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، مرجع سابق، ص٢٠٨.

(١١) المرجع ذاته، ص٢٠٨.

المثال الأول: تمني ما فات وانتهى

"وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً"[1]. يبين -سبحانه- أن بعض المنافقين أو ضعفاء الإيمان، يتخلفون عن القتال، ويثبطون غيرهم عن الجهاد، ويزاولون كل ما يمكنهم مزاولته من تبطئة للمسلمين عن الجهاد، وهؤلاء المثبطون معدودون من جملة المسلمين **"وَإِنَّ مِنْكُمْ"**[2].

يصور الله حالتهم النفسية العجيبة، ويكشف عن دخائل نفوسهم بنظرتهم للأمور من ناحية المصلحة الدنيوية العاجلة. فإذا رأوا المؤمنين قد غلبوا وغنموا وأن حساباتهم قد أخطأت، يبدؤون بإطلاق أمنيةٍ حارقةٍ وآهاتٍ موجعةٍ بلهفةٍ وشوقٍ "على شيء مضى"[3] مما يورث القلب الحسرة والندامة والأسى.

فهذا المتمني للغنيمة ينبه الله على غريب حاله، بتأكيدات متوالية، باللام الموطئة للقسم في أول الآية، وبلام جواب القسم، وبنون التوكيد في وسطها، حتى كأن الذي يسمع كلامه "ينكر وقوع كل ذلك منه"[4]. وزيادة في تنديمه وحسرته، يلوم نفسه على هذا التقصير؛ لأنه يرى أنه أضاع على نفسه سبب الانتفاع بهذا الفوز، فخلطته مع الغانمين من شأنها أن تكون سبباً في خروجه معهم، وانتفاعه بثواب النصر والفوز بالغنيمة.

وهو في حقيقة الأمر لا يعد نفسه من جملة المؤمنين، ولا يحسب كل نصر للمؤمنين نصراً له؛ لأنه لو كان بينه وبين المؤمنين أي مودة لما صدر منه ذلك التمني، فينفي الله أن تكون في قلبه أي مودة للمؤمنين **"كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ"**، فذكر كلمة مودة "نكرة منفية في سياق التشبيه في أوج البلاغة، فهي كلمة لا تدرك شأوها كلمة أخرى ولا تنتهي إلى غورها في التأثير، فقليل من المودة في وقت ما ينبغي أن يمنع عن مثل ذلك التمني"[5].

وفي هذه الجملة المعترضة **"كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ"** "من التقريع والتوبيخ بألطف قول وأرق عبارة ما لا يقدر عليه بلغاء البشر، وكذلك يؤثر في نفس من يذوقه التأثير

---

[1] سورة النساء، آية ٧٣.
[2] سورة النساء، آية ٧٢.
[3] يحيى بن زياد الديلمي المعروف بالفراء (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، معاني القران، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصري، ١٩٥٥، ج١، ص٢٧٦.
[4] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٥، ص١٢٠.
[5] محمد رشيد رضا، المنار، مرجع سابق، ج٥، ص٢٥٦ بتصرف.

الذي لا يدنو من مثله النبز بالألقاب، وهذه الفوائد من تلك الجملة المعترضة من التشبيه فيها، ونفي الكون، وتنكير المودة، تظهر لنا الفرق بين كلام البشر وكلام الخالق وتظهر سراً من أسرار عجز البشر عن الإتيان بمثل هذا الكتاب المبين"[1].

وتؤكد الآية حالة هذا المتمني، وحرصه الشديد ومثابرته على هذه الغنيمة بالمصدر "فوزاً" وبالوصف "عظيماً" وتمنيه الظفر بالغنيمة بعد حصول الغانمين لها، دليل على أنه ممن يشرون الحياة الدنيا بالآخرة وممن يريدون أن يحصلوا على الخير بدون وجه حق مما يدل على ضعف عقله؛ وهذا الضعف سببه وجود تصورات فاسدة كانت قائمة في نفسه أدت به إلى هذا التمني.

من هذه التصورات أنه "يَعُدّ تخلفه عن القتال حال غلبة الكافرين على المسلمين فضل من الله عليه جهلاً منه بسنن الله في الكون"[2] وبمعاني الجهاد في سبيل الله، ومن تصوراته الفاسدة أنه لا يعتقد شهادة قتلى أصحابه، إذ لو اعتقد بها لم يعد الخلاص منها نعمة "بتفسير الشهيد بالشاهد"[3] في قوله تعالى "**قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيْداً**"[4]، فتأتي الآيات لتصحح المفاهيم الخاطئة والتصورات الفاسدة.

ومن لطف الله تعالى أن لا يقطع عن هؤلاء رحمته، فهذا الذي يتمنى الدنيا فقط يفتقد الروح الإيمانية، فعالج القرآن الكريم هذه التصورات الفاسدة والتي نشأت عنها المشاعر الفاسدة والسلوك الضعيف وسقوط الهمة "بالتأثير الذي يحمل صاحبه على التأمل والتفكر في حقيقة حاله ومعاتبة نفسه، فإن كان فيه بقية من الرجاء تاب إلى ربه ورجع إلى حقيقة دينه"[5] وعالج ذلك مرة أخرى ببيان حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، فقال "**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيْلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُوْنَ فَتِيْلاً**"[6].

ومرةً في تقرير حتمية الموت ونفاذ المقدر فيه، مهما يتخذ المرء من الاحتياطات ومهما

---

[1] محمد رشيد رضا، المنار، مرجع سابق، ج٥، ص٢٥٦ بتصرف.
[2] سعيد حوى، الأساس في التفسير، الطبعة الأولى، دار السلام، القاهرة، ج٢، ص١١٢.
[3] أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ/١٠٦٩م)، حاشية الشهاب علي البيضاوي عناية القاضي وكفاية الراضي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ج٣، ص٣٠٤.
[4] سورة النساء، آية ٧٢.
[5] محمد رشيد رضا، المنار، مرجع سابق، ج٥، ص٢٥٦.
[6] سورة النساء، آية ٧٧.

ينكل عن الجهاد "**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ**"[1]، ومرةً في بيان حقيقة الجهاد في سبيل الله "**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**"[2]. فهذه التصورات الاعتقادية التي صححها القرآن الكريم، إذا استقرت في النفس المؤمنة لا تؤدي إلى المشاعر الفاسدة، بعكس التصورات والمعتقدات الفاسدة فإنها تؤدي إلى السلوك والإرادة الضعيفة وسقوط الهمة.

مما سبق يتضح دقة التصوير القرآني، في إظهار ما يحرص الإنسان على إخفائه، فيأتي القرآن ليمزق الحاجز النفسي ويظهر ما في داخله من أسرار؛ إمعاناً في التحدي وهذا وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، لأنه إخبار عن المستقبل وقد تحقق إذ أن التمني لم يتم بعد، بدليل قوله تعالى "**لَيَقُولَنَّ**" الدالة على الاستقبال والتجدد "فهم يفاجأون بالآية قبل أن يقوموا بما ينوون القيام به، فيكون لهم حرية الاختيار"[3] وهم يملكون وسائل التكذيب، ومع ذلك يقفون مبهوتين من أن القرآن الكريم قد أظهر ما في صدورهم، وعرّاهم أمام الناس، ونشر ما في نفوسهم، من نظرتهم للأمور بنظرة مصلحة عاجلة يريدون الحصول عليها، بدون وجه حق مما يصيب المؤمنين من خير ومنفعة.

وهذا إعجاز نفسي علاوة على الإعجاز البياني تحدى القرآن به بكلام متعبد بتلاوته إلى يوم القيامة، أن يصل أي علم إلى ما وصل إليه هذا الكتاب العزيز، من معرفة ما في أدق النفوس الإنسانية من أسرار حريصة على كتمانها.

المثال الثاني: التمني المتضمن للوعد الكاذب

قال الله تعالى "**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**"[4].

يخاطب الله -سبحانه وتعالى- في هذه الآية نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأمته واصفاً له مشهداً من مشاهد يوم القيامة، ومبيناً لهم ما يعتري الكفار المكذبين المعاندين من الهول عند معاينتهم للنار، مشرفين على كل ما فيها من أنواع النكال، قد عرفوا حقيقتها وتبين

---

[1] سورة النساء، آية ٧٨.
[2] سورة النساء، آية ٧٤.
[3] محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، الطبعة الأولى، المختار الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨، ج١، ص١٠٥.
[4] سورة الأنعام، آية ٢٧.

لهم "مقدار عذابها"[1]، ومآلهم الصعب فيها: بأنك يا محمد لو رأيت هذا لرأيت منظراً مهولاً وحالاً فظيعاً وحذف سبحانه جواب "لو" "ليكون أبلغ ما يقدره السامع في نفسه"[2]، وعبر عن الأمر الواقع في المستقبل بـ"إذ" "الدالة على الماضي تنبيها على تحقق وقوعه"[3]، وبني الفعل للمجهول في "**وُقِفُوا**" زيادةً في تهويل الموقف وشدته وشدة هذا الإيقاف وأنه إيقاف ذلٍ ومهانةٍ. يقول أبو السعود "سيق النظم الشريف لتهويل أمر النار وتفظيع حال أهلها، وقد ذكر وقوفهم عليها، وأشير إلى أنه اعتراهم عند ذلك من الخوف والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف، ورتب عليهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها"[4].

هؤلاء المشركون إذا حبسوا على النار وعاينوها وأشرفوا عليها قد يئسوا مما آل إليه حالهم ومصيرهم، أخذوا في إصدار الأمنيات اليائسة بعيدة المنال التي لا فائدة منها إلا التنبيه عما يعاينوه، والتعبير عن دهشتهم وفرط تعجبهم وشدة حسرتهم، يقولون: "**يَا لَيْتَنَا**" "المقتضية بعد المنادى زيادة في التحسر والتلهف"[5] "**نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ**" متمنين العودة إلى الدنيا، ومتمنين عدم التكذيب، ومتمنين كونهم من المؤمنين، وهذا على رفع "**نُكَذِّبُ**" و"**نَكُوْنُ**" بالعطف على "**نُرَدُّ**" فيكونون قد تمنوا ثلاثة أمور[6]، وهم كذبة في هذا التمني، كما أخبر الله عنهم "**وَإِنَّهُم لَكَاذِبُوْنَ**"، لأن هذا التمني إنما صدر منهم حال معاينتهم للعذاب، ولو ردهم الله لعادوا إلى ما نهوا عنه، فلشدة هول ذلك الموقف وخوفاً من العذاب الذي عاينوه تمنوا ما تمنوا، فتوهموا التخلص منه بهذا التمني وهذا النداء، وفي هذا دليل على أن "هذه الخواطر

---

(1) إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ/٩٢٣م)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبدة شلبي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨، ج٢، ص٢٣٩.

(2) محمد بن أحمد جزيء الكلبي (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م)، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣، ج٢، ص٦.

(3) أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ/١٤٠٠م)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم، تحقيق مصطفى الشويمي، المكتبة اللغوية العربية، بيروت، ١٩٦٣، ص١٤٠.

(4) محمد بن محمد العمادي المشهور بأبي السعود (ت ٩٥١هـ/١٥٤٤م)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ص١٢٤.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٧، ص١٨٤.

(6) وهذا التفسير على رأي من وجه الرفع بالعطف، وجعل قولهم ولا نكذب ونكون داخلاً في التمني، ووجه بعضهم الرفع بالقطع عن الأول فيكون تمنيهم قد تم عند قولهم "يا ليتنا نرد"، ثم ابتدءوا "ولا نكذب ونكون" على وجه الوعد منهم بعدم التكذيب والأيمان، أي كأنهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن رددنا أو لم نرد، وشبه سيبويه قولهم هذا "بقول القائل دعني ولا أعود فإني ممن لا يعود". انظر، سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ج١، ص٤٢٦.
ووجه بعضهم الرفع في الفعلين على أن قولهم هذا إنما هو إخبار منهم عما سيفعلونه إن ردوا إلى الدنيا. وعلى هذين التوجيهين الأخيرين لا يكون قولهم "ولا نكذب ونكون" داخلاً في التمني. انظر، الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج١١، ص٣٢٠.

الناشئة عن عوامل الحس دون النظر والدليل لا قرار لها في النفس ولا تسير على مقتضاها إلا ريثما يدوم ذلك الإحساس فإذا زال زال أثره[1] فالكفر والعناد والمكابرة جزء لا يتجزأ من طبيعتهم السيئة وهذا التمني "متضمن للوعد، فجاز أن يدخله التصديق والتكذيب"[2].

"وقرئ "**وَلا نُكَذِّبَ**" "**وَنَكُوْنَ**" بالنصب على أنهما جوابان للتمني لأنه غير واجب، على معنى أنهم تمنوا الرد وترك التكذيب والكون من المؤمنين، والنصب بإضمار أن كما تنصب في جواب الاستفهام والأمر والنهي والعرض، لأن جميعه غير واجب ولا واقع بعد، فينصب الجواب مع الواو كأنه عطف على مصدر الأول كأنهم قالوا يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء من التكذيب وكون من المؤمنين، فحملا على مصدر يرد في العطف إذ لم يمكن أن يحملا على العطف على نرد؛ لانقلاب المعنى إلى الرفع، فلم يكن بد من إضمار "أن" لتكون مع الفعل مصدراً فيعطف مصدراً على مصدر وبه يتم النصب في الفعلين"[3].

"أو على أنهما حال، على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين ويكون داخلاً في التمني"[4] وقرأ ابن عامر ""**وَلا نُكَذِّبُ**" بالرفع على أحد الوجهين والعطف على "**نُرَدُّ**"، أو بالقطع "**وَنَكُوْنَ**" بالنصب على جواب التمني، فيكون كلا الفعلين داخلا في التمني"[5].

ثم أكد الله كفرهم وأن نفوسهم قد قبلت المعصية وأشربتها بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبات، والتأكيد على ذلك بـ"أن" و"اللام" فقال "**وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**". أخرجه مخرج الأمر الثابت، أي أن الأمر قد استقر وانتهى.

المثال الثالث: التمني في سياق الحسرة والندامة على جهة التوبة

قال تعالى "**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً**"[6].

كان المشركون يترفعون عن مجالس النبي –صلى الله عليه وسلم– بحجة أنها تجمع قوماً يرونهم أقل منهم منزلة، فطلبوا من النبي –صلى الله عليه وسلم– طردهم عن مجلسه، فضرب

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٧، ص١٨٥.
(2) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج٢، ص٣٣٥.
(3) مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ/١٠٤٥م)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محي الدين رمضان، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧، ج١، ص٤٢٧.
(4) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج٢، ص٣٣٥.
(5) القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، مصدر سابق، ج١، ص٤٢٧.
(6) سورة الكهف، آية ٤٢.

الله لهم هذا المثل "**واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً**"[1]، رجل أعطاه الله جنتين، وآخر فقير لا مال له ولا نفر، والجنتان جنتان مثمرتان من الكروم، محفوفتان بسياج من النخيل من جميع الجوانب، أعطت كل واحدة من الجنتين ثمرها تاماً غير منقوص منه شيئاً، ثم زيادة في البهجة وما تضفيه المياه على الجنتين من الحيوية الدافقة، فجر الله نهراً يجري داخل الجنتين، "**كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً**"[2] وسروراً لباله وهناءةً لعيشه، "أعطاه الله من المال والأنعام الشيء الوفير"[3] "وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً"[4].

ولقصور عقل صاحب الجنتين، "وقف على المحسوسات وهذه النعم دون النظر إلى العواقب والمآلات"[5]. فهاهو يمسك بيد صاحبه ونفسه قد ملئت تكبراً وبطراً وغروراً، مبتهجاً بما أعطاه الله من هذه الجنات لما ذاق من حسنها وزهوتها، متوهماً أنها لا تفنى أبداً وحتى لو قامت القيامة فسيكون هو من يدخلها "ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدنّ خيراً منها منقلباً"[6]. فجمع بين كفرين:

الأول: "قطعه بأن تلك الأشياء لا تبيد أبداً.

الثاني: إنكار البعث"[7].

فذكر الله عن بعد حاله بالفعل "**وَدِدْتُ**" والذي هو "أقوى تعريفاً ببعد الكافر المضروب به المثل عن حال الإيمان"[8]. وأما صاحبه الفقير فأخذ يوجهه إلى الأدب في حق المنعم، وينذره

---

(1) سورة الكهف، آية ٣٢.
(2) سورة الكهف، آية ٣٣.
(3) على قراءة ضم الثاء والميم "ثمر".
نصر بن علي بن محمد الفارس المعروف بابن أبي مريم (ت ٥٦٥هـ/١١٦٩م)، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق عمر حمدان الكبيسي، الطبعة الأولى، الجماعة الخيرية لتحفيظ القران الكريم، جدة ١٩٩٣، ج٢، ص٧٨٠.
(4) سورة الكهف، آية ٣٤.
(5) إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥، ج٤، ص٤٧٠.
(6) سورة الكهف، آية ٣٥-٣٦.
(7) عمر بن علي بن عادل (ت. بعد ٨٨٠هـ/١٤٧٥م)، البيان في علوم الكتاب، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج١٢، ص٤٨٨.
(8) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق سعيد الفلاح، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣، ج٢، ص٧٨١.

عاقبة البطر والكبر، ولكن دون جدوى "قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً"[1].

ثم تكون العاقبة مشهد الدمار والبوار قد أحاط جميع الجوانب -مأخوذة من "إحاطة العدو وهو استدارته من جميع الجوانب"[2]- واستولى وغلب على الجنتين ولم يسلم شيء، السقوف ساقطة، والعروش على السقوف وهي خاوية خالية مما كانت تحويه من حركة وبهجة غناء.

وأما صاحبها فالحسرة والندم والتلهف يعتريه على ضياع جهده وماله في عمارتها رجاء أن يتمتع بها أكثر ما يمكن أن يتمتع بها، وكان يرى أن أيدي الردى لن تناله، فعندما شاهد منظر الدمار والبوار والاستئصال مرة واحدة، بغتة دون تدرج، أصدر صرخة حارقة "**يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**" وكأنه من خلال هذه الصرخات قد استعرض ماضيه ومرت عليه ذكرياته السابقة التي كان فيها ذلك المؤمن يذكره بالله وبعدم الإشراك به وبوجوب شكر هذه النعم، ونسبتها إلى الله -عز وجل-، وعدم الانخداع بظواهر الأمور وزخارف الدنيا الفانية وخاصة عندما رأى فناء جنته مرة واحدة، ومن فرط دهشته وتعجبه أخذ ينادي نفسه ويخاطبها كأنه يراها تجيبه، ويعيد ويكرر هذا النداء، يقول لنفسه: "أحضري فهذا أوانك"[3]؛ لما يرى من عدم وجود ناصر ينصره ويخلصه من العقاب، لذلك "التجأ إلى الله إذ علم أن الآلهة الأخرى لم تغن ولايتهم عنه شيئاً، وأن غير الله لا حقيقة له ولا دوام، وأن ثواب الله خير"[4]، وأن هذا الأمر الذي حصل له قد عجله الله له في الدنيا بسبب احتقاره المؤمن الفقير وجزاء طغيانه.

"وفي هذه المقالة عظة وعبرة، وزجر للكفرة من قريش وغيرهم، لئلا تجيء لهم حال يؤمنون فيها بعد نقم تحل بهم[5]، وأن ما حصل لهذا الرجل ليس خاصاً به، ولكن هذا جزاء يحل بكل من تكون حاله كهذه الحال "وهذا مأخوذ من قوله "**وَأُحِيطَ**" حيث لم تعطف بفاء التفريع، وبالفاء المفيدة للتعقيب في قوله "**فَأَصْبَحَ**""[6].

---

(1) سورة الكهف، آية ٣٧.

(2) محمود بن عبد الله الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤، ج٨، ص٢٦٨.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٥، ص٣٢٦.

(4) المرجع ذاته، ج١٥، ص٣٢٨.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مرجع سابق، ج٩، ص٣١٧.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٥، ص٣٢٦.

فهذا الزعم الفاسد والوقوف على المحسوسات، وأن الجنة لن تبيد أبداً، أدت إلى فساد العقيدة، إلى أن أوقعت صاحبها في الكفر، بأن نسب الفضل إلى نفسه وأنكر نعمة الله عليه وكفر بالبعث، وهو ما أدى في النهاية إلى الإبادة والهلاك بسرعة تامة لم يتوقعها صاحب الجنة.

نلاحظ كيف أن تمني هذا الرجل كان فيه استعراض وإجمال لما مر معه من أحداث ومواقف، صوّرها من خلال إطلاقه لهذه الصرخة "**يا ليتني**" حيث جاءت خاتمة لأحداث هذه القصة، معبرة عن شدة الحسرة والندامة التي أصابت هذا الرجل، لقد برز في صرختـه هذه الغرض الديني، وبرزت مشاهد القصة، وبرزت معها قوة العواطف والانفعالات.

المثال الرابع: تمني الموت خوف الفتنة

قال تعالى "**فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**"[1].

يصف القرآن الكريم الحالة النفسية التي اعترت مريم -عليها السلام-، عندما اضطرها وألجأها طلق الحمل بعيسى -عليه السلام-، إلى أصل نخلةٍ استندت عليها تواجه آلام المخاض، لا أحد معها يخفف عنها ما كانت تعانيه من آلام جسدية ونفسية، ويلبي احتياجها للرعاية والمأكل، "تعاني حيرة العذراء في أول مخاضٍ ولا علم لها بشيءٍ، ولا معين لها في شيء"[2].

ثم نجد التفجع والأسى عند وضع حملها، فبينما كان أمرها مستتراً غير مكشوف بين الناس، هاهو سيصل ذروته وينكشف، إذ هي ستواجه قومها بما كانت تخفيه وتكتمه من أمر الحمل، وما سيقابلونها به من الشك والطعن في عرضها، والعار على أهلها وهي الطاهرة التقية النقية، التي كان يرغب كل واحدٍ من الأحبار ورجال الدين أن يكون له شرف كفالتها "**وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**"[3]. فتسود الدنيا في عينيها، وتقفل الطرق في وجهها فإذا بها تقول "**يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**". تصدر أمنية حارة صادقة "دليلاً على مقام صبرها وصدقها في تلقي البلوى التي ابتلاها الله تعالى"[4] وتكشف عن مدى معاناتها، لم تتمن الموت في هذا الوضع الذي هي فيه، وإنما تمنت الموت قبل حملها

---

[1] سورة مريم، آية ٢٣.
[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج١٣، ص٤٣٣.
[3] سورة آل عمران، آية ٤٤.
[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٦، ص٨٤.

هذا، فنلاحظ صدقها في أمنيتها، فهي لا تفكر في نفسها وآلامها فقط وما تواجهه من متـــاعب، ولكن تفكر بأهلها، ولا تريد أن يلحقهم العار بسببها والطعن في دينها.

ثم من شدة آلامها واضطرابها ومعاناتها وتخيلها لموقف قومها منها تتمنـــى أن تكـون "**نَسْيَاً**" أي "شيئاً حقيراً شأنه أن ينسى"[١]، بعد أن كانت تتمتع بمكانه عالية ومنزلة رفيعة بينـهم، تريد أن ينسى ذلك كله وكأنها لم تكن على وجه الأرض قط، فهي لم تتمن أن لم تعش أو تحيى، ولكن تمنت أن تكون نسياً، ثم تبالغ في هذا النسي أن يكون "**مَنْسِيَاً**" أي أن "أهلـــه قـد نسـوه وتركوه، فلا يلتفتون إليه والى ما يحل به"[٢] ولا يخطر لهم على بال أصلاً. "فإننا لنكـاد نـرى ملامحها ونحس اضطراب خواطرها ونلمس مواقع الألم فيها"[٣].

وفي هذه الآية يظهر لنا عن طريق أسلوب التمني تصوير دقيق للعواطـــف الصادقـة والانفعالات، إذ الأماني مرآة تكشف عن دخائل النفوس حين انطلاقها، معبرةً عمـا فيـها مـن أحاسيس صادقة وصبر وإيمان، ولذا كان التمني في حالة الفتنة، أو الخوف على الدين لا حـرج فيه؛ لأنه دليل على صدق الإيمان والتوجه إلى الله بالكلية والخوف من الفتنة بالدين. قال عليـه الصلاة والسلام "يأتي على الناس زمان يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانـه"[٤] "مـن كثرة ما يقع من الفتن"[٥] يتمنى الموت خوفاً من الوقوع فيها وإنما كان نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن تمني الموت في حالة نزول ضر بالبدن.

المثال الخامس: التمني في سياق الاعتراف بالذنب في غمرة الآهات والأحزان

قال تعالى: "**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً**"[٦].

يصوّر الله عز وجل بأسلوب التمني مشهداً، فيه الـهول والحسـرة والندامـة، مشـهداً شاخصاً وموقفاً حياً، فيه الحركة وكأن القارئ يشارك في هذا الموقف لأخذ العظة والعبرة لمـا سيحدث في ذلك اليوم.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٦، ص٨٤.
(٢) المرجع ذاته.
(٣) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٦٠.
(٤) حديث صحيح رواه ابن ماجه بإسناد صحيح محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م)، سـنن ابن ماجه، حققه بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨، كتاب الفتن/بـاب شـدة الزمان، ج٥، ص٥٠٢.
(٥) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج٩، ص٤٤٧.
(٦) سورة الفرقان، آية ٢٧-٢٩.

فهذا الظالم، عند رؤيته ما أعده الله له في ذلك اليوم المهول من العذاب الأليـــم، يشـد بأسنانه على يديه؛ تعبيراً عن شدة حسرته وندامته، وعدّي الفعل "يعض" بـ"على" مع أنه متعدي بنفسه "لإفادة التمكن من المعضوض إذا قصدوا عضاً شديداً كما في الآية"[1] فلا تكفيه يد واحدة، للدلالة على ما وصلت إليه حالته النفسية من تهيج وقوة عصبية، حتى كأنه يريد أن يعبر عنـها بكل جوارحه وما أوتي من طريقه. وهو في هذه الحالة "يقول" مكرراً ومجدداً هذه المقولـة "**يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً**" فيتمنى أن يكون قد أرغم نفسه على متابعـة الرسـول، وجعـل الرسول دليلاً وهادياً إلى أحسن الطرق وأيسرها وأسهلها إلى النجاة، فيعترف وهو فـي غمـرة آهاته وأمنياته بأن النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– رسول من عند الله بعد أن كان في الدنيـا منكراً لذلك ومكذباً به.." وإنما عدل عن الإتيان بفعل الاتباع ونحوه بأن يقال "يا ليتنـي اتبعـت الرسول" إلى هذا التركيب المطنب؛ لأن في هذا التركيب تمثيل هيئة الاقتـداء بهيئـة مسـايرة الدليل، تمثيلاً محتوياً على تشبيه دعوة الرسول بالسبيل، ومتضمناً تشبيه ما يحصل عن سـلوك ذلك السبيل من النجاة ببلوغ السائر إلى الموضع المقصود، فكان حصول هذه المعاني صـائراً بالإطناب إلى إيجاز، وأما لفظ المتابعة فقد شاع إطلاقه على الاقتداء فهو غير مشعر بهذا التمثيل وعلم أن هذا السبيل سبيل نجاح من تمناه، لأن التمني طلب الأمر المحبوب العزيز المنال"[2]، ثم يزيد في حسرته بمناداته هلكته "يا وليتا" "أي هلاكي الذي ليس لي منـادم غـيره لأنـه ليـس بحضرتي سواه"[3] "بتنزيل ما لا ينادى منزلة ما ينادى لقصد حضوره كأنه يقول هـذا وقتـك فاحضري"[4].

وكلما تصاعدت الزفرات واشتدت نتج عنها زيادة الأمنيات الصعبة، فلما تأسف علـى عدم متابعته للرسول، تندم على مصادقة غيره "ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً" يتمنى أن لا يكون قـد تابع ومشى في ركاب من اتبعه وواده وصادقه بدل الرسول، "وإنما تمنى ذلك ولم يتمن أن يكون عصاه فيما سول له: قصداً للاشمئزاز من خلته من أصلها، إذ كان الإضلال من أحوالها، وفيـه إيماء إلى أن شأن الخلة الثقة بالخليل وحمل مشورته على النصح، فلا ينبغي أن يضـع المـرء خلته إلا حيث يوقن بالسلامة من إشارات السوء"[5].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٩، ص١٢.
(2) المرجع ذاته.
(3) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٥، ص٣١٢.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٠، ص٣٣٨.
(5) المرجع ذاته، ج١٩، ص١٢.

ثم يعلل لتمنيه أن لا يكون اتخذ فلاناً خليلاً -مبالغة في التندم والتحسر- بقوله "لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني" فقد صدر عن خلته أعظم خسران لخليله، إذ أضلني عن الحق بعد أن كدت أتمكن منه. "وفي تصديره للتعليل باللام القسمية مبالغة في بيان خطئه، وإظهاراً لندمه وحسرته"[1] حتى كأنه يقول: والله لقد صرفني عن الذكر والقرآن بعد أن شاع نوره وتمكن وظهرت حقيقته البينة.

وقوله "**وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُوْلاً**" جملة مقررة لمضمون ما قبلها إما من "جهته تعالى: تنبيها للناس على أن كل هذا الإضلال إنما هو من عمل الشيطان"[2] فهو خذول للإنسان مجبول على ذلك "يزين له الباطل ويقبح له الحق، ويعده الأماني ثم يتخلى عنه ويتبرأ منه"[3]، وإما أنه "من تمام كلام الظالم: على أنه سمى خليله شيطاناً بعد وصفه بالإضلال الذي هو أخص الأوصاف الشيطانية"[4] ثم خذله في حال الحاجة إلى نصرته.

"وهكذا راح القرآن يهز قلوبهم هزاً، بهذه المشاهد المزلزلة التي تجسم لهم مصيرهم المخيف، وتريهم إياه واقعاً مشهوداً، وهم بعد في هذه الأرض يكذبون بلقاء الله ويتطاولون على مقامه دون توقير ويقترحون الاقتراحات المستهترة، والهول المرعب ينتظرهم هناك والندم الفاجع بعد فوات الأوان"[5].

وبعد استعراض الآيات السابقة يظهر إعجاز القرآن في تصوير هذه المشاهد، وإبرازها في صورة حية ملموسة، إذ هو يعبر عن الحالة النفسية التي تعتري الظالم في ذلك الموقف، بالحركات الجسدية المتمثلة في العض على اليدين، ويعبر عن شدة الندم والحسرة بإطلاق صرخات التمني، وكيف جعل التمني كاشفاً عن حقائق كان يخفيها ذلك الظالم في نفسه -مع إقراره حينذاك بصحتها وحقيقتها- ولكنه كان يكابر في الاعتراف بها، إلى أن جاءت اللحظة الحاسمة والتي لم يعد للمكابرة نفع أو فائدة، فإذا به يعترف بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبأن هدى الله هو الهدى، وأن ما سوى ذلك ضلال وخسران، وأن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه سبب للسعادة في الدارين.

---

(1) الآلوسي، روح المعاني، مصدر سابق، ج١٠، ص١٤.
(2) المصدر ذاته.
(3) عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنار، تحقيق محمد زهدي النجار، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣، ج٣، ص٤٠٩.
(4) الآلوسي، روح المعاني، مصدر سابق، ج١٠، ص١٤.
(5) سيد قطب، في ظلال القران، مرجع سابق، ج١٩، ص١٥٦.

المثال السادس: التمني في سياق الانخداع بظواهر الأمور

قال تعالى "**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**"[1].

آتى الله –عز وجل– قارون مالاً كثيراً، فبدل أن يشكر نعمة الله عليه طغى وتكبر ونسي فضل الله عليه، بل نسب هذا الفضل إلى نفسه "**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**"[2].

وحدث أن "خرج ذات يوم بجمالٍ وتباهى من الثياب والطيب والمراكب والسلاح والخدم، خروج متعالٍ مترفع في هيمنته وسطوته"[3]. كاسراً لقلوب الضعفاء من الناس والمساكين. وعند مرور هذا الموكب المهيب "**قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ**"، ولم تعطف هذه الجملة على ما قبلها "لأنها أنزلت منزلة بدل الاشتمال، لما اشتملت عليه الزينة من أنها مما يتمناه الراغبون في الدنيا، وذلك جامع لأحوال الرفاهية وعلى أخصر وجه، لأن الذين يريدون الحياة الدنيا لهم أميال مختلفة ورغبات متفاوتة، فكل يتمنى أمنية مما تلبس به قارون من الزينة، فحصل هذا المعنى مع حصول الإخبار عن انقسام قومه إلى مغترين بالزخارف العاجلة على غير علم، وإلى علماء يؤثرون الآجلة على العاجل، ولو عطفت جملة "**قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ**" بالواو أو بالفاء لفاتت هذه الخصوصية البليغة، فصارت الجملة إما خبراً من جملة الأخبار عن حال قومه، وإما جزء خبر من قصته"[4].

فالمبهورون بما أوتي قارون تمنوا من غير نظر إلى مصدر هذه الزينة أو كيف جمعت، لأنها استهوتهم وأخذت بتلابيب قلوبهم حتى أخذ كل واحد منهم يمعن النظر فيها، ويطوف به الخيال في امتلاك شيء ولو يسير منها، ويؤكدون أن قارون على صواب وطريقته هي الطريقة المثلى؛ لأنه لو لم يكن له عند الله مكانة عالية لما أعطي كل هذا الخير "**إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**".

ولكن "أهل الحكمة والعلم الذين يقدرون ويعرفون نهايات الأمور ومآلاتها يردون هؤلاء المغرورين بزجرهم عن هذه الأمنيات والأقوال، ويبينون لهم أن جزاء الله لعباده المؤمنين

---

[1] سورة القصص، آية ٧٩.
[2] سورة القصص، آية ٧٨.
[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٠، ص١٨٣.
[4] المرجع ذاته.

الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون وما تتمنون"[1]. وقدم المسند إليه في قوله "**ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ**"[2] "ليتمكن الخبر في ذهن السامعين"[3].

وعند وصول هذه الفتنة أعظم مقدار في قلوب ضعفاء النفوس، فغيّرت مفاهيمهم، وخلطت بين الإمكانيات والأمنيات، وظنوا أن "من بسط له في الرزق صاحب قسم حسن، وأن مولاه راضٍ عنه، وأن القبض دليل على المهانة"[4]. تتجلى قدرة الله -سبحانه وتعالى-"**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوْنَهُ مِنْ دُوْنِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِيْنَ**"[5]. وعند رؤية أصحاب النفوس الضعيفة قدرة الله وعظمته تذكروا فضل الله عليهم بأن لم يحقق لهم ما تمنوه، "وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر"[6] عادوا إلى رشدهم وأيقنوا نهايات الأمور، فجهروا بذلك ندامة على ما تمنوا "**لَوْلا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الكَافِرُوْنَ**". فوجههم الله -عز وجل- وربّاهم إلى الطريقة المثلى في التمني، وأنه سبحانه بيده البسط والقبض، فهو متصرف في ملكه كيف يشاء ويجب على العبد الرضى بما قسم له. ومن رحمته -سبحانه- أنه لم يعاقبهم على هذا التمني الصادر منهم؛ لأنه كان نتيجة لجهلهم واغترارهم بزخارف الدنيا، وهذه النزعة -نزعة الاغترار بالأموال والثروات والأوضاع- نزعة جبلية في الإنسان، إذ هو دائماً يطمح إلى السعة واليسار "**وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيْدٌ**"[7].

من خلال أسلوب التمني في الآيات السابقة، يظهر الإعجاز الغيبي النفسي، الذي صوّره الله -عز وجل- بصورة إعجازية بيانية، حيث أظهر أسراراً ومكنوناتٍ بشرية لا يطلع عليها أحد إلا الخالق -سبحانه وتعالى-، وبيَّن طبيعة النفس البشرية في إقدامها وإحجامها وتأثرها وانخداعها بالمظاهر، وتدرج هذا التأثر والانخداع حتى وصل غايته. ونلحظ فيها كيف صور القرآن الكريم ضعف نفوس المتمنين، وقصور نظرهم، وقلة عقلهم. وأن هذه الفتنة لم تؤثر إلا فيمن كانت نفسه قابلة للتأثر، كصاحب النفس الضعيفة والنظر القاصر، أما أصحاب النظر

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٠، ص١٨٣.
(2) سورة القصص، آية ٨٠.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٠، ص١٨٣.
(4) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٥، ص٥٢٠ بتصرف.
(5) سورة القصص، آية ٨١.
(6) سورة القصص، آية ٨٢.
(7) سورة العاديات، آية ٨.

والحكمة فلا تؤثر فيهم هذه الفتن، بل نجدهم يردون أولئك المفتونين ويبينون لهم جزاء الله لعباده المؤمنين، ويصححون لهم المفاهيم التي اختلطت عليهم.

المثال السابع: التمني في سياق اليأس والقنوط[1]

"يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا"[2].

"كان الكفار يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الساعة إنكاراً لها واستبعاداً لحصولها، وكان اليهود يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الساعة تعجيزاً له"[3]، فأخبر الله رسوله أن الساعة أمرها عظيم وهي واقعة لا محالة، ووقوعها مما اختص الله بعلمه، ولكن هل أعد لها السائل عنها؟ فإن أمرها عظيم!! **"يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً"**[4].

ففي ذلك اليوم المهول، قد أعد الله للمكذبين ناراً شديدة التوقد وألواناً من العذاب، ولن يجدوا فيه من ينصرهم من العذاب المحقق **"إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً * خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً"**[5]، فسوف تأخذ الملائكة بتقليب وجوههم في النار بشدة بغير اختيار منهم، "كما يقلب الشواء من جميع الجوانب لينضج على السواء وتصل النار جميع الأجزاء"[6]. ولما كانت الوجوه من "أشرف وأكرم المواضع من جسد الإنسان"[7]، وأكثرها إحساساً؛ لما تحتويه "من الحواس الرقيقة"[8]، قصد إهانتهم أشد إهانة وإشعارهم بأشد الحسرة والندامة.

وعند الشعور بذلك الموقف المخزي المذل، يبدأ التحسر والندم على ما فات، فيقولون مكررين **"يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا"**؛ للتخفيف عن أنفسهم مما يعانون، ورثاءً لحالهم على ما فاتهم "إذ لم يجدوا ما يخفف عنهم ويطفئ غلتهم إلا صرخات التمني"[9].

---

(1) لما كان التمني صادراً بعد الوقوع في النار، ومقاساة هولها وعذابها، واليأس من الخروج منها، ناسب أن تكون تسمية هذا المطلب بـ"التمني في سياق اليأس والقنوط"، بينما كان في المطلب الخامس "التمني في سياق الاعتراف بالذنب في غمرة الآهات والأحزان" – مع اتحاد الأسلوب في هذين المطلبين – لأنه صدر حين معاينة النار وقبل الدخول فيها ولا يزال عندهم بقية أمل في النجاة.

(2) سورة الأحزاب، آية ٦٦.

(3) الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج٤، ص٣٠٦.

(4) سورة الأحزاب، آية ٦٣.

(5) سورة الأحزاب، آية ٦٤-٦٥.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٢، ص١١٥.

(7) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج٥، ص١٠٠.

(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٢، ص١١٥.

(9) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق، ج٦، ص١٣٨.

فقد أيقنوا وحصل لهم علم "في أنفسهم أن الخلاص فقط للمطيع"[١] مما زاد في حسوتهم وتمنوا أن يكونوا قد أطاعوا الله في الدنيا، وليس أي طاعة؟ وإنما طاعة عن طريق المُبلّغ عن الله وهو رسوله "مبالغة في الإذعان والخضوع"[٢].

المثال الثامن: التمني الكاشف عن الصدق والإخلاص

قال الله تعالى "**قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**"[٣].

أرسل الله رسولين إلى أهل قرية، فكذّبهما أهل تلك القرية، فعززهما الله برسولٍ ثالث يؤكد أنهم جميعاً رسل من عند الله "**واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون**"[٤]، ولكنهم زادوا في تكذيبهم، وادعوا أنهم بشر ولا فضل لهم عليهم "**قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون**"[٥].

وعندما سمع رجل بدعوتهم لم يتوان، ولم يثنه بعد المسافة، لم يأت متراخياً، بل جاء يسعى من أبعد مكان في المدينة أي: "يمشي مشياً سريعاً للجد في الأمر"[٦] فكل المؤشرات تدل على صدقه، لأن السعي "أكثر ما يستعمل في الأمور المحمودة"[٧]. وفي تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله "**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ**"[٨] "إشارة إلى إحراز معنى جليل، مطلع على حكم السوابق، من بعد مسافةٍ عن داعية إلى الهداية، فلم يضره بعد الدار، وكفر من باشر الرسل وشافههم، فلم ينتفع بقرب الدار"[٩]. قال القشيري "قال من أقصى المدينة، ولم يكن أقصاها وأدناها ليتفاوتا بكثير، ولكنه سبحانه أجرى سنته في استكثار القليل من فعل عبده إذا كان يرضاه، ويستنزر الكثير من فضله إذا بذله وأعطاه"[١٠].

---

(١) الرازي مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج٢٥، ص٢٣٢.
(٢) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق، ١٣٨/٦.
(٣) سورة يس، آية ٢٦-٢٧.
(٤) سورة يس، آية ١٤.
(٥) سورة يس، آية ١٥.
(٦) الأصفهاني، مفردات القرآن، مصدر سابق، ص٤١١.
(٧) المصدر ذاته.
(٨) سورة يس، آية ٢٠.
(٩) أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ملاك التأويل، مصدر سابق، ج٢، ص٩٠٤.
(١٠) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ/١٠٧٢م)، لطائف الإشارات، تحقيق إبراهيم بسيوني، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١، ج٣، ص٢٨٨.

وعندما آمن هذا الرجل الصالح لم يقف عند حد الإيمان، بل كان من دعاته ويحاول أن يجذب غيره إليه على –الرغم من علمه بمحاولات الرسل هداية أولئك الضالين أصحاب القرية– إلا انه لم يَيأس أبداً بل ظل يدعوا للمبدأ الإيماني، حتى يعلم أصحاب القرية أن كلام الرسل ليس خاصاً بهم كما ادعوا، بل دعوة الرسل قد أثرت وانتشرت في المدينة، وأخذ هذا الرجل الصالح يجادل ويناظر أولئك الضالين بأقوى حجة وبرهان وأفصح بيان ليوصلهم إلى الحق، فلم يجد أصحاب القرية حجة في الرد سوى القتل، إرادةً منهم في إسكات صوت الحق.

فأصحاب الحجة الضعيفة الذين يعتمدون على نصر الآلهة، تكون إجاباتهم وحججهم متشابهة دائماً، ولا يحملون مبدءاً واضحاً، لذلك تجدهم يحاولون إسكات هذا الصوت بجميع الوسائل غير المشروعة، لأنهم فقدوا المنطق وضاعت الحجة.

ورفعاً لمنزلة هذا الرجل الصالح الناصح حتى يعلم أهل الدنيا أنه قد فاز فوزاً عظيماً، ولا يُظن أنه ممن ضُرب به المثل فقط قيل له "**أَدْخُلِ الْجَنَّةَ**". وإنما عبر عن استشهاده بالكناية "إغماضاً لهذا المعنى عن المشركين، كيلا يسّرهم أن قومه قتلوه، فيجعلوه من جملة ما ضرب به المثل لهم وللرسول صلى الله عليه وسلم، فيطمعوا في قتل الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذه الكناية لا يفهمها إلا أهل الإسلام الذين تقرر عندهم التلازم بين الشهادة في سبيل الله ودخول الجنة"[1].

ولما كان الطبع البشري داعياً للانتقام، بيَّن الله –سبحانه– أن طبع هذا الرجل غير ذلك، فسريرته بيضاء نقية، ولا يزال قلبه يحترق عليهم لعدم إيمانهم بالله، ولا يزال ينسب نفسه إليهم "**قَوْمِي**" وكأنه يرى من نفسه تقصيراً على عدم إيمانهم، فأراد لهم النصح حتى بعد موته ولم يلهه دخوله الجنة عن حال قومه فقال "**يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**" متمنياً معرفة قومه بما ناله من الدرجة الرفيعة، لعظيم مغفرة الله للذنوب، وأن إيمانه كان في فترة قصيرة إلا أن الله سبحانه حشره مع الملائكة والأنبياء وأفضل الصالحين الذين تلحقهم كرامة الله، فصدق هذا الرجل المؤمن ظهر، وتجلى واتضح من خلال تمنيه، إذ لولاه لما عرفنا عظيم هذا الصدق.

ومن هنا نعلم أن تمني الآخرة والفوز بأعلى الدرجات هو التمني المحمود. روى أنس ابن مالك –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "ما أحد يدخل الجنة، يحب أن

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٢، ص٣٧٠.

يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيءٍ إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة"[١].

المثال التاسع: التمني في سياق المقابلة والموازنة

قال تعالى: "**ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بُعد المشرقين فبئس القرين**"[٢].

يبين الله –عز وجل– في هذه الآية حال من يتغافل ويعرض عن القرآن، ولفرط اشتغاله بالمحسوسات، وانهماكه في الشهوات، "يسلط الله عليه شيطاناً يلازمه، يوسوس له ويغويه ويبعده عن طريق الهداية، ويوهمه ويخيل إليه أنه على الحق والصواب. ويظل الشيطان في هذه الحيلة قريناً لهذا العاشي عن ذكر الله ملازماً له لا ينفك عنه طول حياته إلى يوم القيامة يستدرجه ويغويه"[٣].

"**حتى إذا جاءنا**" –أي يوم القيامة – وحيداً، ليس معه من يسليه ويخفف عنه، ووقف أمام الله –عز وجل– ذلك الموقف المهيب.. تيقن وعلم أنه كان على ضلال وبعد كل البعد عن طريق الهداية، وأن الطريق الذي كان يمليه عليه قرينه –الشيطان– كان طريق غواية وضلال، ولا التقاء بين الطريقين.

فأيقن حينئذ أنه هالك وخاسر، وأخذ في التندم والتحسر والتلهف على تلك الصلة التي كانت بينه وبين قرينه، ويبين مدى الضيق الحاصل له من تلك العلاقة فيقول "**يا ليت بيني وبينك بُعد المشرقين**" متمنياً "أن لو لم يجمعهما فلك، وأن لو كان كل منهما في عالم غير العالم الذي يعيش فيه صاحبه"[٤]، واستحالة الالتقاء بينهما، كما يستحيل التقاء مشرق الشمس شتاء بمشرقها صيفاً.

---

[١] محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، دار إحياء التراث العربي، كتاب الجهاد والسير/ باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا، ج٤، ص٣٦.

[٢] سورة الزخرف، آية ٣٦-٣٨.

[٣] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٥، ص٣١٨٩.

[٤] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، ج٥، ص١٣٢.

ويلقي بالتبعة على الشيطان الذي أضله وأغواه "فليتني ما صحبتك ولا عرفتك ولا كانت بيني وبينك أية صلة، حتى كنا في التباعد كأن أحدنا في المشرق والآخر بالمغرب لا يلتقيان ولا يتقاربان"[1].

"**فبئس القَرِيْن**" "بعد أن تمنى مفارقته فرع عليه ذماً، أي بئس القرين أنت لي اليوم؛ ذماً منه لشيطانه وتعريضاً بذلك للتفصي من المؤاخذة بإلقاء التبعة على الشيطان الذي أضله"[2].

"ولما كان المصاب إذا شاركه غيره في مصيبته حصل له بالتأسي نوع تخفيف وتسلية، أخبر الله سبحانه أن هذا غير موجود وغير حاصل في حق المشركين في العذاب، فقال سبحانه "**وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ**". فلا يجد القرين راحة ولا أدنى فرح بعذاب قرينه معه، وإن كانت المصائب في الدنيا إذا عمت صارت مسلاة. إلا أن هذا الروح الحاصل من التأسي معدوم بين المشركين في العذاب يوم القيامة"[3].

المثال العاشر: التمني في سياق تكشف الستر والفضح أمام الخلائق

يقول تعالى "**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه * يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ**"[4].

بعد أن بيَّن الله -عز وجل- حال المؤمنين السعداء -أصحاب اليمين- في معاشهم في الجنة، وما أعده لهم من النعيم المقيم فيها "**فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابيه * فهو في عيشة راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية * كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية**"[5] بيّن في هذا الآيات -للموازنة والمقارنة والعبرة- حال الأشقياء الكفار في الآخرة، وتعرضهم لألوان العذاب في نار جهنم، وبين السبب الذي أدى بهم إلى ذلك.

---

(1) انظر سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل (ت ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م)، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، تحقيق إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ج٧، ص٩٤.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٥، ص٢١٢.

(3) محمد بن أبي بكر بن أيوب الشهير بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه ووثق نصوصه يسري السيد محمد، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، ١٩٩٣، ج٤، ص١٣٤.

(4) سورة الحاقة، آية ٢٥-٢٧.

(5) سورة الحاقة، آية ١٩-٢٤.

"**أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ**": "لما كان الدال على المساءة الإيتاء على وجه قبيح لا تعيين المؤتي، قال بالبناء للمفعول لذلك وللدلالة على ذل الأخذ وعدم قدرته على الامتناع عن شـــيء يسوؤه"[١]. حينما يأخذ كتابه بشماله –في ذل وانكسار وخزي– يعرف أنه مؤاخذ بســيئاته، وأنَّ إلى العذاب مصيره، فيقف في هذا المعرض الحافل الحاشد وقفة المتحسر الكسير الكئيب الذي لا قوة لديه ولا حيلة تخلصه من هذا المصير، هنا يأخذه العذاب النفسي قبل العذاب الجسدي، إذ قد كان في الدنيا مستوراً لا يطلع على سرائره أحد، وأما الآن فقد كشف الغطاء والســتر، واطلــع على قبائحه جميع الخلق وفُضِح أمامهم، وتيقن أن هذا الكتاب لم يغادر صغــيرةً ولا كبــيرةً إلا أحصاها "**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**"[٢]. حينئذٍ يقول في ذل وانكسار وخضوع "ومن باب المكابرة والمرافعة بالباطل على ما كان عليه في الدنيا"[٣] "**يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه**" متمنياً التخلص منه بأي وجه كان فلم يؤتاه "من أي مؤت ما"[٤] إذ يرى أن هذا الكتــاب هو سبب شقاوته وعذابه حيث أحصيت فيه جميع أعماله.

ثم يتمنى المحال في ذل وانكسار "**وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه**" فليتني لم أعلم بأعمالي التي عملتها وجزائي عليها، وبقيت جاهلاً بها كما كنت في الدنيا، إذ هو أهون علي مما ألقاه الآن.

ولما أدرك أنه خاسر، وأنه هالك، وأن العذاب واقع به لا محالة، وأنه لا مفر لديه منــه، وعلم أن ما يستقبله شر مما كان فيه –من البرزخ– وما عاينه من عذاب نفسي استأنف قائلاً "**يَا لَيْتَهَا**". أي الموتة التي مُتها "**كَانَتِ الْقَاضِيَةَ**" "أي الباتة الجازمة الملزمة لدوام المــوت الخاتمــة عليها حتى لا يكون بعدها بعث ولا شيء غير الموت كما كنت أعتقد في الدنيا"[٥]، ولم يعطــف هذا التمني على التمني السابق "لأن المقصود التحسر والتندم"[٦]. قال قتادة: "تمنوا الموت ولــم يكن شيء في الدنيا أكره عندهم من الموت"[٧].

---

(١) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٨، ص١٣٣.
(٢) سورة الكهف، آية ٤٩.
(٣) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٨، ص١٣٣.
(٤) المصدر ذاته.
(٥) المصدر ذاته.
(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٩، ص١٣٥.
(٧) عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٥٥م)، الدر المنثور في التفسير المأثور، الطبعة الأولى، دار الفكر، لبنان، ١٩٨٣، ج٨، ص٢٧٣.

كما قال أبو الطيب:

"كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى المَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ المَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا"[1]

ولما كان يظن أنه يتخلص من البعث بماله وجاهه قال بتحسر وتأسف معللاً لتمنيه: "**مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه**"[2]، إذ كان يرجو أن ينفعه ذلك في هذا الموقف ولكن على العكس زاد في ضلاله وغيه وعذابه، "ولما كان المال سبباً للوصول إلى السلطان قال نافياً لما أوصله إليه ماله شارحاً لعدم إغنائه "**هَلَكَ عَنِّي**" أي مجاوزاً لي حتى كأني لم أكن فيه ساعة قط "**سُلْطَانِيَه**"[3] أي تسلطي على الدعاة إلى الله بالشبه الباطلة التي كان يطلق اللسان بها"[4] وليتني بقيت فقيراً ذليلا حتى لا ألقى ما ألاقيه الآن.

المثال الحادي عشر: التمني في سياق "فقد الشعور والإرادة من شدة الهول والصدمة"[5]

قال تعالى "**إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا**"[6].

كان كفار مكة يسأل بعضهم بعضاً –بطريق الاستهزاء– عن البعث والدليل عليه، فبين الله لهم أن هذا الأمر الذي تسألون عنه مما لا يمكن إخفاؤه، فهو واضح وأدلته ظاهرة، وضرب لهم الأمثلة الكثيرة على وقوع ذلك الأمر. كما في افتتاحية سورة النبأ "**عم يتساءلون * عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون * كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون * ألم نجعل الأرض مهادا**"[7].

ثم قطع أعذارهم بعد ذلك بأبلغ وجه فقال: "**إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا**" يا أيها الناس إن لم تؤمنوا؛ فإن هناك عذاباً سيحل بمن يستحقه عما قريب "**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا**"[8] وها نحن قد

---

(1) عبد الوهاب عزام، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٤، ص٤٣٩.
(2) سورة الحاقة، آية ٢٨.
(3) سورة الحاقة، آية ٢٩.
(4) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٨، ص١٣٣.
(5) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الثانية، منشورات العلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٢، ج٢٠، ص١٧٦.
(6) سورة النبأ، آية ٤٠.
(7) سورة النبأ، آية ١-٦
(8) سورة النبأ، آية ٢١.

"أخبرناكم بحصوله في وقت تستطيعون فيه إبعاد أنفسكم من الوقوع فيه"[١].

في ذلك اليوم سيرى كل إنسان ما قدم من خير أو شر مثبتاً في صحائف أعماله، لا يستطيع أن ينكره، وسيدرك الكافر –في وقت لا تنفع فيه المعذرة بعد الإنذار والبيان– أن تساؤله وكفره بذلك اليوم كان من أعظم الجهل والظلم، وفيه من الهول والضيق والكرب الشديد، "ما يجعل الكافر يتمنى من شدته أن لو كان فاقداً للشعور والإرادة فلم يعمل ولم يجز"[٢].

ولننظر كيف صور القرآن الكريم تلك الحالة النفسية التي تعتري الكافر في يوم القيامة، وما وصل إليه من اليأس والقنوط، بأروع وصف وأدق عبارة، فهو يتذكر حاله في الدنيا وإسرافه فيها، وتقصيره فيما أمر به، ويعاين أمامه جزاءه وعقابه، ويعاين أيضاً إضافة إلى ذلك ما أعد له لو كان مؤمناً مصدقاً، فيزداد ندمه وتعلو حسرته، حتى يصل به الأمر إلى "أن يتمنى أن ينعدم ويتحول إلى عنصر مهمل زهيد"[٣] "حقير لا يلتفت إليه ولا يحاسب!"[٤]. والذي عزز هذا التمني عنده وأشعل جذوة الأمل في نفسه، أنه رأى البهائم قد حشرت واقتص لبعضها من بعض، ثم ردت تراباً، فهو في حالته هذه يتمنى أن يكون مثلها لما رأى من انتهاء أمرها، ويرى أن هذا أهون عليه من مواجهة هذا الموقف الذي أنذره الله به في الدنيا من شدته وهوله. "فعُلم أن التساؤل عنه –أي يوم القيامة– للتعجب من كونه؛ من أعظم الجهل، فرجع آخر الآيات على أولها، وانعطف مفصلها أي انعطاف على موصلها، واتصل مع ذلك بما بعدها أي اتصال، فإن المشرف بالنزع على الموت يرى كثيراً من الأهوال والزلازل والآجال التي يتمنى لأجلها أنه كان منقطعاً عن الدنيا ليس له بها وصال يوماً من الأيام ولا ليلة من الليالي"[٥].

المثال الثاني عشر: التمني في سياق كشف الحقائق

يقول تعالى "**وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**"[٦].

من أهوال يوم القيامة: مجيء جهنم تقودها الملائكة تموج ذهاباً وإياباً، قد تكشفت للناس بعد أن كانت غائبة عن أعينهم "فحصل لهم من ذلك من الهول ما لا يعلمه إلا الله تعالى"[٧].

---

[١] محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢، ج١٥، ص٢٦٠.
[٢] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ج٢٠، ص١٧٦.
[٣] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٣٠، ص٤٣٦.
[٤] ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج١٦، ص٢١٦.
[٥] البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٨، ص٣٠٧.
[٦] سورة الفجر، آية ٢٣-٢٤.
[٧] البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٨، ص٤٢٢.

حينئذٍ تذهب الغفلة، ويتذكر الإنسان ما كان قد فرط في الدنيا "على سبيل التجديد والاستمرار"[1]، فيذكر كل شيء كان قد عمله فيها، ولكن هل تنفعه هذه التذكرة؟!

"وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى" كيف ومن أي وجهٍ؟ وأيُّ نفع ستنفعه هذه التذكرة "إذ قد مضى عهدها -لفوات الدنيا التي هي دار العمل – فما عادت تجدي هنا في دار الجزاء أحداً"[2].

ثم هو يرى ما أعده الله -عز وجل- للشاكرين المؤمنين المطيعين، وما أعد للكافرين العصاة، فلا تزيده هذه الذكريات وهذه المناظر سوى الندم والآلام، ولا تبقى له إلا الحسرة على فوات الفرصة في دار العمل في الدنيا!

وحين يعرف أنه قد قصر وفرط، وتتجلى له هذه الحقيقة يقول: **"يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي"**. "أي قدمت عند أزمان حياتي في الحياة الدنيا، ويحتمل أن تكون اللام للعلة، أي قدمت الأعمال الصالحة لأجل أن أحيا في هذه الدار الحياة الكاملة السالمة من العذاب"[3]. وفي قوله **"لِحَيَاتِي"** "إشارةٌ إلى أن هذه الحياة -حياة الآخرة- هي حياة الإنسان حقاً، وأن الحياة الدنيا ليست إلا معبراً إلى هذه الحياة"[4]، فأيقن أنه كان في الدنيا ضائعاً تائهاً، "يعدو ويتعب لها، ثم فارقها وجاء إلى حياة أبدية سرمدية، ولكنه لم يقدم لها ما يسعد به اليوم، فليس أمامه إلا الأمنية والحسرة الظاهرة وهي حسرة تزيده في الندم"[5]. "وهي أقسى ما يملكه الإنسان في الآخرة!"[6].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٨، ص٤٢٢.
(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٣٠، ص٣٩٠٦.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٣٠، ص٣٣٩.
(4) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآن للقرآن، مرجع سابق، ج٥، ص١٥٦١.
(5) محمد على الصابوني، قبس من نور القران الكريم، الطبعة الأولى، دار السلام، القاهرة، ج١٦، ص٢٠٥.
(6) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٣٠، ص٣٩٠٦.

المطلب الثاني: أداة التمني "لــو" واستعمالها في السياق القرآني

لــو: "حرف للاستقبال بمعنى "ليت"[١] "في المعنى لا في اللفظ والعمل"[٢]. ولا تكـــون "لــو" للتمني "إلا إذا كان الأمر مستحيلاً أو في حكم المستحيل"[٣].

وإنما اختصت "لــو" دون سائر أدوات الشرط باستعمالها في التمني، "لأن ما تدخل عليه كلمـــة "لــو" غير واقع لأنها لامتناع الشيء لامتناع غيره، لكنها تفيد فرض ذلك الشيء غــير الواقــع واقعاً على طريق فرض المحالات، والتمني يشاركها في هذا المعنى الذي تفيده "لــو" من فرض غير الواقع واقعاً"[٤].

وقد استعمل التمني في القرآن الكريم بأداة التمني "لــو" في سياقات متعددة.

المثال الأول: التمني في سياق الأمر العزيز البعيد المنال

قال تعالى: "**وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**"[٥].

يضرب الله مثالاً من أمثلة انحراف بعض الناس عن صـــراط الله المســتقيم، وتعلقــهم بشركاء جعلوهم أنداداً لله تعالى حتى صاروا يحبونهم حباً يعادل حبهم لله، كما قال تعـالى: "**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب * إذ تبرأ الذين اتُبِعوا من الذين اتَبَعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب**"[٦].

في هذه الآية الكريمة يبين الله مصير هؤلاء المشركين وما أعـــدّه لـــهم مـــن العـــذاب والعقوبة في نار جهنم، ويبين لهم أن شركاءهم الذين اتخذوهم آلهة مع الله لا يملكون لهم نفعـــاً

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، مصدر سابق، ج٩، ص١١.
(٢) أحمد عبد النور المالقي (ت ٧٠٢هـ/١٣٠٢م)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٥، ص٢٩١.
(٣) محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ/١٧٩٣م)، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مـــالك، تحقيق إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتـــب العلميـــة، بـــيروت، ١٩٩٧، ج٤، ص٤٦.
(٤) المصدر ذاته، ج١، ص١٤٨.
(٥) سورة البقرة، آية ١٦٧.
(٦) سورة البقرة، آية ١٦٥-١٦٦.

ولا يدفعون عنهم ضراً، بل يتخلص ويتصل كل منهم عن الآخر، وتنقطع الحبال بينهم بعد الذي عاينوه من العذاب.

وهنا بعد أن عرفوا أن اتباعهم لأولئك الأسياد لم ينفعهم بل زادهم ضراً، وهلاكاً، وخسارة، وامتلأت نفوسهم غيظاً وحقداً فقالوا "متمنين للمحال ندماً على اتباع من لا ينفع حيث لا ينفع الندم"[1] "**لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ**"[2] والذي زاد التمني بعداً مجيء هذا التمني بعد رؤيتهم العذاب، وإيقاناً بالمصير الذي ينتظرهم، "وانقطاع الأسباب والصلات والحيل فلا معدل ولا مصرف عن النار حينئذٍ"[3] فبرز من خلال التمني بـ"لو" شعورهم باللهفة واليأس، وما يحملونه في قلوبهم من الحقد والضغن والغيظ على أولئك المضلين، إذ يطلبون أن يكون المستحيل أمراً ممكناً، وذلك بالرد بقوةٍ وسرعةٍ إلى الدنيا "ليتخلصوا من المتبوعين الذين كرهوا مجاورتهم"[4]. مجازاةً لهم بمثل صنيعهم، فهم أولاً يريدون العودة إلى الدنيا بسرعةٍ، ثم يدعوهم الرؤساء إلى إجابتهم فلا يجيبونهم، فتحصل للرؤساء الخيبة، وهذا في نظر التابعين ما يغيظ المتبوعين ويخذلهم ليجتمع لهم الذلان: ذل الدنيا وذل الآخرة. وهذا الذي حصل لهم ثمرة أعمالهم وما جنته أيديهم يرون عواقبها ندامات وحسرات فيتأسفون "أشد الأسف على الفائت الذي يحسر المتلهف، أي: يقطعه عما تحسر عليه"[5].

هذا التمني لا فائدة منه إلا زيادة الألم، وإلا فهم باقون مخلدون في نار جهنم، ولذلك أكد الله –عز وجل– هذا الحكم بالجملة الاسمية "**وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**" فالحكم تأبيدي ثابت لا رجوع فيه إلا أن يشاء الله.

ويتبين من هذه الآية الكريمة أن تمني أولئك المتبوعين بـ"لو" الرد إلي الدنيا للتبرؤ من التابعين، كان لإظهار ما في أنفسهم من لهفةٍ ويأسٍ بعد أن أصبحت أمنيتهم عزيزة صعبة المنال بعيدة الوقوع، وكان غيظهم وحنقهم على التابعين الخادعين عظيماً، لأنهم كانوا السبب فيما هم فيه، فكانت أمنيتهم الرد إلى الدنيا بقوةٍ وسرعةٍ حتى يكون لهم موعد آخر مع التابعين.

---

[1] البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج١، ص٣٠٣.

[2] "لو" هنا "في معنى التمني وبذلك أجيبت بالفاء الذي يجاب به التمني كأنه قيل: ليت لنا كرة فنتبرأ منهم"، انظر محمد عبد الخالق عظيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، مرجع سابق، ج٢، ص٦٦٧ وج٢، ص٢٥٨.

[3] وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١، ج٢، ص٦٩.

[4] المختار أحمد محمود الشنقيطي، الترجمان والدليل لآيات التنزيل، الطبعة الأولى، دار روضة الصغير، الرياض، ١٩٩٣، ج١، ص٣٦ مادة "برأ".

[5] البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج١، ص٣٠٣.

وإن التمني بـــ"لـــو" كان فيه استبعاداً أكثر من "ليت" في تحقيق أمنيتهم بالرد إلى الدنيـــا وهذا إعجاز قرآني أضافه التمني بـــ"لـــو" على الإعجاز القرآني في أسلوب التمني ما كان لـــو قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم"، حيث أن التمني بـــ"لو تزيد المتمنى بعداً وكأنها تبرز شعور اللهفة واليأس، وبالإمعان في سياق الآيات يقوى عندنا هذا الوجه، فقد قالوه لما رأوا العذاب وتقطعّـــت بهم الأسباب"[١].

وإن للتمني درجات متفاوتة، وليست على درجة واحدة في تمني التحقيق، وكذلك هنـــاك أمنيات عزيزة بعيدة المنال، وهناك أمنيات أقل من ذلك بحسب المواقف.

المثال الثاني: التمني في سياق فرض غير الواقع واقعاً بعد استبعاد النجاة

قال تعالى: "**فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ**"[٢].

يوم القيامة تقرب الجنة وتدنـــى تكريمـــاً للمؤمنيـــن ورفعـــاً لمكانتـــهم "**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِيْنَ**"[٣] وفي المقابل فإن النار تظهر وتجعل مكشوفة للكافرين، بحيث يرونها قبل أن يدخلوهـــا حتى يستشعروا الروع والحزن، وبدت ومنها عنق فزفرت زفرة بلغت منها القلوب الحنـــاجر"[٤]، كما قال تعالى: "**وبرّزت الجحيم للغاوين**"[٥]. ثم يقال لهم تقريعاً وتوبيخاً "**أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُوْنَ * مِنْ دُوْنِ اللهِ هَلْ يَنْصُرُوْنَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُوْنَ**"[٦]. أين الآلهة التي عبدتموها مـــن دون الله وظننتـــم أنـــها ستنفعكم؟ هاهي اليوم لا تنفع نفسها فضلاً عن أن تنفعكم، أو تنجيكم من هذا المصير الذي صرتم إليه –وما هذا إلا لإبطال دورها الذي قد يعلق بأذهانهم للنجاة تيئيساً لهم.

"**فَكُبْكِبُوْا فِيْهَا هُمْ وَالْغَاوُوْنَ وَجُنُوْدُ إِبْلِيْسَ أَجْمَعُوْنَ**"[٧] بعد ذلك التيئيس وفجأة يلقون فـــي النار على وجوههم في هوة "مرة بعد أخرى بلا نظام ولا عناية ولا رحمة بل بعضـــهم فـــوق بعض"[٨]. وقدّم الآلهة في الكبكبة حتى يشاهد الغاوون سوء حالهم فييأسوا من النجاة.

---

[١] محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، مرجع سابق، ص٢١١.
[٢] سورة الشعراء، آية ١٠٢.
[٣] سورة الشعراء، آية ٩٠.
[٤] إسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أحمد عبد الســـلام الزعبي، الطبعة الأولى، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٨، ج٣، ص٤٥٤.
[٥] سورة الشعراء، آية ٩١.
[٦] سورة الشعراء، آية ٩٢-٩٣.
[٧] سورة الشعراء، آية ٩٤-٩٥.
[٨] محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٥٩.

ثم بعد هذا المصير الذي لا نجاة فيه ولا مفر عنه لا يجد، هؤلاء الكفار الأذناب سوى الاعتراف بالكفر والضلال في عبادة غير الله ومساواته به ويلقون اللوم على المجرمين الذين كانوا السبب في ضلالهم، فيقولون: "**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**"[1].

ويزداد يأسهم وأنينهم وعويلهم، حينما يرون الملائكة تشفع لعصاة المؤمنين، فيخرجون من النار، ولا يبقى فيها غيرهم، فيقولون على جهة التلهف والتأسف "**فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**"[2]. وجمع الشافع ووحد الصديق: لأن "الشفعاء يكثرون عادةً عند المحنة، وإن لم يكن هناك سبق معرفة، وأما الصديق المخلص في وداده فقليل نادر"[3].

وهنا بعد أن أيقنوا بالخلود في نار جهنم، ومرّ بهم من فنون العذاب ما مر، وبلغ التحسر كماله، والندم غايته، وانتفى الخلاص! لم يبق لهم سوى التعلق بأمنيات محالة عزيزة صعبة المنال، بعيدة الوقوع، فيفرضون غير الواقع واقعاً استرواحاً لأنفسهم فيقولون "**فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**"[4]. تعبيراً عما في أنفسكم من إبلاس مطبق وعويل وأنين وندب بـ"لو" –المفيدة بعد المنادى وصعوبة وقوعه– وبالفعل "كرة" المضعف الدال على الرد بقوةٍ وسرعةٍ ليتداركوا الأمر، ويصبحوا من المؤمنين الذين صار الأيمان وصفاً لازماً لهم، فينجوا من النار كما نجوا وتزلف لهم الجنة.

ولما كانت حالتهم النفسية قد وصلت إلى الانهيار الكامل، عبر القرآن الكريم عنها بالأسلوب المناسب والوصف الدقيق، فاستعمل حروف اللين والغنة بكثرة في تصوير تمنيهم، وهذا إعجاز لفظي علاوةً على الإعجاز المعنوي.

المثال الثالث: التمني في سياق زيادة اللهفة واليأس بعد العذاب واليقين بالمصير المحتوم

قال تعالى: "**أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**"[5].

---

(1) سورة الشعراء، آية ٩٧-٩٨.
(2) سورة الشعراء، آية ١٠٠.
(3) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج٢، ص٤٠١.
(4) "لو" "هنا أشربت معنى التمني و"فنكون" الجواب كأنه قيل "يا ليت لنا كرة فنكون"". انظر، أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج٧، ص٢٦.
(5) سورة الزمر، آية ٥٨.

يدعو الله –عز وجل– عباده الذين تجاوزوا الحد في المعصية إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله تعالى، بألا ييأسوا من رحمة الله؛ فرحمة الله واسعة "**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**"[1]. وهذه "أرجى آية في كتاب الله؛ لاشتمالها على أعظم بشارة، فإنه أولاً أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ومزيد تبشريهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب، ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط للمستكثرين من الذنوب، ثم جاء بما لا يبقى بعده شك، ولا يخالج القلب عند سماعه ظن فقال "**إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ**" أي كل ذلك كان ما كان –إلا ما أخرجه النص القرآني وهو الشرك"[2].

"**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ**"[3] أي: "وارجعوا بكلياتكم إلى الله، بالتوبة والطاعة، وأخلصوا له العمل، من قبل نزول العقاب بكم، فلا تقدرون على منعه ولا رفعه عنكم، وامتثلوا الأمر، واجتنبوا النهي، من قبل أن يحل بكم العذاب فجأة، وأنتم في سعةٍ من أمركم ليس عندكم شعور بإتيانه لشدة غفلتكم ويكون العذاب أفظع ما يكون على النفس"[4].

وبعد أن خوفهم الله –عز وجل– بحلول العذاب، ذكر كلماتهم عند نزول العذاب –إن لم ينيبوا ويتداركوا أنفسهم:

فأولى هذه الكلمات، يكون عند الموت "**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**"[5]. فيا ندامتي الشديدة على تفريطي في طاعة الله وكوني من المستهزئين بدينه وعباده المؤمنين.

والكلمة الثانية: "عندما يساق إلى المحشر ويأخذ مكاناً ضيقاً بين المجرمين"[6] "**أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**"[7]. معللاً سبب ضلاله بأن الله –عز وجل– لم يكتب له الهداية حتى يكون من المتقين، يريد أن يتعلق بها للخلاص من هذا العذاب.

---

(1) سورة الزمر، آية ٥٣.
(2) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مرجع سابق، ج٤، ص٤٧٠.
(3) سورة الزمر، آية ٥٤.
(4) القشيري، لطائف الإشارات، مرجع سابق، ج٣، ص٢٨٨.
(5) سورة الزمر، آية ٥٦.
(6) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، مرجع سابق، ج٤، ص١١٨٣.
(7) سورة الزمر، آية ٥٧.

ثم تكون الكلمة الثالثة: "**أَوْ تَقُوْلَ حِيْنَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ**"[١].

عندما يساق إلى العذاب، وهو ينظر في يأس من الخلاص من هذا العذاب المحقق، يتمنى بها العودة إلى الدنيا، ليعمل بما أمره الله –عز وجل–. وهي أمنية عزيزة بعيدة المنال، لا تفيد إلا التحسر والتلهف، فلم تعد مجدية بعد وقوع العذاب وتقطع الأسباب.

واستعمل "أو" للدلالة على أن أي نفس "لا تخلوا عن هذه الأقوال تحسراً وتحيراً وتعللاً بما لا طائل تحته"[٢].

---

(١) "لو" هنا "جاءت للتمني بدليل نصب "فأكون" في جواب التمني وإذا كانت في جواب التمني كانت "أن" واجبة الإضمار وكان الكون مترتبا على حصول المتمنى لا متمنى". انظر، أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج٧، ص٤١٨.

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، مرجع سابق، ج٧، ص٢٦٠.

المطلب الثالث: أداة التمني "هـل" واستعمالها في السياق القرآني

"هـل": "حرف استفهام يستفهم به عن أمر من المخاطب لم يستقر عنـد السـائل، لـه الصدارة في الكلام"[١] كقولك: هـل خرج زيد؟ والأصل: "أن لا يليها إلا الفعل إلا أنهم توسـعوا فيها فابتدؤوا بعدها بالأسماء والأصل غير ذلك"[٢].

وهي من الحروف الهوامل، وقد أجمع النحويون على أن أدوات الاستفهام مهملة غـير عاملة لا تؤثر في الحركة الإعرابية، "لدخولها على الجملة الاسمية والفعلية، فهي غير مختصـة ولذلك لم تؤثر"[٣].

"فهـل" في أصلها للاستفهام ولكن قد تستعمل في التمني مثل: هل من معين، وذلك فـي حالة علمه أن لا معين، وهنا يمنع حمل "هـل" على حقيقة الاستفهام لأنه "حصل عند المتكلـم الجزم بالانتفاء"[٤]. والغرض البلاغي من استخدام "هـل" مكان الأداة الأساسية "ليـت" "إيـراد المتمنى لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه"[٥]، "ويمكن وقوعه"[٦] "وإيراده مستفهما عنه للأبلغية"[٧].

وقد استعمل التمني في القرآن الكريم بأداة التمني "هـل" في سياقات متعددة.

المثال الأول: التمني في سياق كمال العناية بالأمنية

قال تعالى "**فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**"[٨].

"لما شرح الله تعالى أحوال أهل الجنة، وأهل النار وأهل الأعراف، ثم شـرح الكلمـات الدائرة بين هؤلاء الفرق الثلاث، على وجه يصير سماع تلك المناظرات حاملاً للمكلـف علـى الحذر والاحتراز وداعياً له إلى النظر والاستدلال"[٩]، حيث قال: "**ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله**

---

(١) الزجاجي، حروف المعاني، مصدر سابق، ص٢.
(٢) سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ج١، ص١٦٢.
(٣) علي بن عيسى الرماني، معاني الحروف، مصدر سابق، ص١٠٢.
(٤) السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، مصدر سابق، ج١، ص١٤٨.
(٥) المصدر ذاته، ج١، ص١٤٨.
(٦) ابن يعقوب المغربي، مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح، مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٠.
(٧) المصدر ذاته، ج٢، ص٢٤٠.
(٨) سورة الأعراف، آية ٥٣.
(٩) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٣، ص٩٤.

على الظالمين * الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون * وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون "[1].

بيّن شرف هذا الكتاب الكريم ونهاية منفعته – "**وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**"[2] قاطعاً به أعذار المشركين ومحذراً إياهم عقوبة البعد عنه ونسيانه، إذ لم يبق بعد بيانه وتفصيله إلا تأويله وهو: وقوع ما أخبر به من العذاب... يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ، يعترف المجرمون –حينئذٍ– أنهم كانوا على باطل، وأن ما جاءت به الرسل هو الحق، ولكن بعد فوات الأوان "**يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**"[3].

"وإنشاءً للحسرة على ذلك، وإبداءً للحيرة في ماذا يصنعون، رتبوا عليه وفرعوا بالفاء قولهم "**فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا**""[4][5] باحثين عن الخلاص بكل وسيلة، إذ لم يفقدوا الأمل في النجاة، فظنوها ممكنة.

ولما كان من "أسس الشرك عندهم أن النجاة إنما تكون بوساطة الشفعاء"[6]. "وعهدوا في الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم في حاجاتهم، وذكروا ذلك في وقتٍ لا خلة لهم فيه ولا شفاعة"[7]. "تساءلوا –على وجه التمني– عن أي شفيع يشفع لهم ولو يكون الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ناصبوه العداء في الحياة الدنيا"[8]. فصارت نفوسهم تفترض غير الواقع واقعاً لتستروح بهذا الأمل الموهوم الذي لا يجزمون بانتفائه لكمال العناية به.

ولما تبين أن النجاة إنما تكون بالإيمان الصحيح والعمل الصالح عطفوا على تمني الشفاعة الرد إلى الدنيا، –يتمنون أحد هذين الأمرين– "لأن أحدهما لا يجتمع مع الآخر، فإذا حصلت الشفاعة فلا حاجة إلى الرد، وإذا حصل الرد استغني عن الشفاعة"[9] وخاصة أنهم لم

---

(1) سورة الأعراف، آية ٤٤-٤٦.
(2) سورة الأعراف، آية ٥٢.
(3) سورة الأعراف، آية ٥٣.
(4) "هل" "استفهام فيه معنى التمني، لذلك نصب جوابه بالفاء، لأنه جواب التمني".
محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ/١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن، الناشر مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ج٧، ص٢١٨.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٩، ص١٥٥.
(6) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج٣، ص٣١٤.
(7) الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج٨، ص٣٠٤.
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٩، ص١٥٥.
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٩، ص١٥٥.

يدخلوا النار فهم مازالوا لم يذوقوا ويلاتها وأهوالها فالرغبة عارمة قوية والأمل لا يـزال حيـاً حاراً في الهروب.

"لذلك حكم الله عليهم بأنهم "**قَدْ خَسِرُوْا أَنْفُسَهُمْ**" غبنوها وأقحموها في الشرك والتكذيـب فأفضى بهم ذلك إلى تحقق الوعيد فيهم "**يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيْلُهُ**" ما توعدهم به القران من العذاب "**وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَ**" الضلال مستعار للعدم، طريقة للتهكم"[١] أسلمهم أولياؤهم الذيـن كـانوا يظنون أن يشفعوا لهم إلى عذاب الله.

المثال الثاني: التمني في سياق فرض غير الواقع واقعاً لراحة النفس بأمل موهوم

قال تعالى "**إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيْمَانِ فَتَكْفُرُوْنَ * قَالُوْا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوْبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوْجٍ مِنْ سَبِيْلٍ**"[٢].

ينادى الكافرون يوم القيامة من قبل الملائكة وهم في نار جهنم إن الله يبغضكم بغضـاً أشد من بغضكم لأنفسكم، فهم قد حرموا أنفسهم فضيلة الإيمان "بعـد ظـهور دلائـل الإيمـان وشيوعه الذي يجب أن يقبل من أي داع كان"[٣]، واستحلوا الكفر بعد أن عرفوا مـا فيـه مـن الضلال، فالله تعالى يعاقبهم على هذا الكفر بأشد وأكثر ما يمكن أن يتصور من التحقير والعقاب.

ولما كان من أعظم ذنوبهم التي أوصلتهم إلى الكفر: إنكار البعث أرادوا في هذا الموقف العصيب بعد أن شاهدوا قدرة الله على البعث بتكرار الإحياء والإماتة "تعظيم قدرة الله سـبحانه وتعالى واسترضائه بذلك"[٤]، والإقرار طمعاً منهم في أن يتجاوز الله عنهم، فهنا حصل لهم نوع من الرضا -في ظنهم- وذلك بسبب "النداء الموجه إليهم من قبـل الله توهمـوا أن فيـه إقبـالاً عليهم"[٥].

"**قَالُوْا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوْبِنَا**" "التي أسلافنا في الدنيا مـن تكذيب الرسل والإشراك بالله، وترك توحيده، فاعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف، وندموا حيـث

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٩، ص١٥٥.
(٢) سورة غافر، آية ١١.
(٣) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق، ج٦، ص٤٩٠.
(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج١٣، ص١٥.
(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٤، ص٩٥.

لا ينفعهم الندم، وقد جعلوا اعترافهم هذا مقدمة لقولهم "**فَهَلْ إِلَى خُرُوْجٍ مِنْ سَبِيْلٍ**" أي هل إلى خروج لنا من النار"[١]. "ولو على أدنى أنواع الخروج، بالرجوع إلى الدنيا فنعمل صالحاً من سبيل نسلكه، فنخرج، ثم تكون لنا موتة ثالثة وإحياءة ثالثة إلى الجنة التي جعلتها جزاء من أقرّ بالبعث"[٢].

فظنوا أن بإمكانهم الخروج، وذلك لما كان في هذا النداء من بعث الأمل في نفوسهم، حتى صارت نفوسهم تريد أن تستروح من العذاب بفرض غير الواقع واقعاً فقالوا: "**فَهَلْ إِلَى خُرُوْجٍ مِنْ سَبِيْلٍ**"[٣]. يتمنون الخروج من النار ويظنونه ممكناً، ولكنهم في حقيقتهم يعتقدون يقيناً أنه لا سبيل ولا وسيلة أيا كانت بحق أو بعفو أو تخفيف ينتفعون به أو أي خروج يرتاحون به من العذاب.

وفي هذا الإيهام الذي توهموه من أن الاعتراف بذنوبهم ضرب من التوبة يقدمونها توهماً منهم أن التوبة تنفع يومئذ لفرط حيرتهم ودهشتهم بما شاهدوه من أليم العذاب، فيصور القران الكريم اليأس والقنوط والحالة النفسية التي وصلوا إليها، لذلك كانت الأمنيات التي تخطو على بالهم أمنيات عزيزة لا تصدر إلا "من كلام من غلب عليه اليأس"[٤] بعد أن فقدوا ما يمكن أن يتعلقوا به فصاروا يفترضون غير الواقع واقعاً ليريحوا أنفسهم ولو بآمال موهومة.

المثال الثالث: التمني في سياق صورة الممكن الذي لا يجزم انتفاؤه

قال تعالى: "**وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ * وَتَرَى الظَّالِمِيْنَ لَمَا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُوْلُوْنَ هَلْ إِلَى مَرَدٍ مِنْ سَبِيْلٍ**"[٥].

---

(١) الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج٤، ص٤٨٤.

(٢) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٦، ص٤٩٠.

(٣) "هل" "هنا تفيد التمني، وذلك لأنه لو كان مرادهم الاستفهام عن الخروج لكان الجواب لا أو نعم، ولم يجابوا بذلك، بل ببيان سبب خلودهم في النار وقنوطهم من الخروج منها، وهو إصرارهم في دار العمل على أقبح المعاصي"، محمد مصلح الدين مصطفى القوجوي (ت ٩٥١هـ/١٥٤٤م)، حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، تحقيق محمد عبد القادر شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ج٤، ص٣٠٢.

(٤) صديق بن حسن بن علي بن الحسين القنوجي (ت ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م)، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا، ج١٢، ص١٦٨.

(٥) سورة الشورى، آية ٤٤.

يبين الله -عز وجل- أن من خذله "فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه"[1]، "وذلك لأن نفسه ميالة إلى الشر والبعد عن الحق بمحض اختيارها"[2]. أي "يتولى أمره في الهداية بالبيان لما أخفاه الله عنه، أو التوفيق لما بيّنه له"[3]. "وفي هذا تحقير لأمر الكفرة يوم القيامة فلا يبالي بهم أحد من المؤمنين"[4].

وعندما يعاين الظالمون العذاب لفرط دهشتهم من هذه المعاينة -قبل أن يدخلوا النار ويعذبوا- فلسوء ما عاينوا اختصر الله صفتهم وذكر المعاينة، لعظم ما شاهدوه من عذاب شديد قد شمل جميع الأنواع والأهوال، فعند ذلك يجدون أن الفرصة مازالت سانحة للنجاة بأي وسيلة من هذا العذاب الذي عاينوا أهواله، فالرغبة جارفة قوية والأمل ما زال حياً في الهروب أو "الرجعة إلى الدنيا لتدارك ما فات من الطاعات الموجبة للنجاة"[5]. ففقز إلى أذهانهم وتبادرت الأماني العزيزة "**بِقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍ مِنْ سَبِيلٍ**"، فهم يجدون أن الرد ممكن لا يجزمون باندفاعه، وذلك أنهم عاينوا ولم يدخلوا النار بعد، وكذلك التجمع الهائل من الناس يغذي هذه الأمنية، فيكررونها ظناً منهم أنه سيؤبه بهم لاستيلاء هذه الأمنية على أنفسهم حتى أصبحوا يظنون غير الواقع واقعاً.

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٢٧، ص١٨٢.
(2) محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، الطبعة الرابعة، مطبعة الاستقلال الكبرى، ١٩٦٨، ج٢٥، ص٢٩.
(3) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٦، ص٦٤٣.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج١٣، ص١٨٥.
(5) البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٦، ص٦٤٣.

المطلب الرابع

أداة التمني "لــولا" واستعمالها في السياق القرآني

"لــولا" "حرف لا عمل له، يتضمن معنى الشرط"[١]، فهي "تختص بالأفعال فيليها الفعل المضارع، والفعل الماضي، وقد يليها اسم معمول لفعل مقدر أو ما في تأويله"[٢].

وإذا وقع الفعل المضارع بعدها "أفادت التحضيض وهو طلب الشيء بحثٍ وإزعاج"[٣] مثل لولا تدرس، "بخلاف العرض فإنه طلب الشيء بلين وتأدب"[٤].

"ولا يكون التحضيض في الماضي الذي قد فات، إلا أنها تستعمل كثيراً في لوم المخاطب على أنه ترك في الماضي شيئاً يمكنه تداركه في المستقبل، وقلما تستعمل إلا في موضع التوبيخ واللوم على ما كان يجب أن يفعله المخاطب"[٥].

وهذا الحرف يتولد منه التمني، "وإنما توصل بالتمني إلى هذا الحض، لأن التمني هو بداية الرغبة حتى يتعلق بالمحال، فناسب التحضيض فالمعنى في هلا تقوم: ليتك تقوم"[٦].

وقد استعمل التمني في القرآن الكريم بأداة التمني "لولا" في هذا السياق.

التمني في سياق الحض بطلبٍ وتكرارٍ

قال تعالى "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ**"[٧].

يدعو الله -عز وجل- عباده المؤمنين المخلصين إلى الحذر من الإقبال على الدنيا وزهوها والاغترار بها "آمراً عباده المؤمنين بكثرة ذكره"[٨]، ومحذراً من الانشغال بالأموال

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، مصدر سابق، ج٨، ص١٤٤.
(٢) علي بن محمد الهروي (ت ٤١٥هـ/١٠٢٤م)، كتاب الأزهرية في علم الحروف، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨١، ص١٦٣.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة حضَّ، ج٣، ص٢١٩.
(٤) المصدر ذاته.
(٥) المصدر ذاته، ج٢، ص٤٤٠.
(٦) سعد الدين التفتازاني، مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٤٢هـ، ج٢، ص٢٣٨.
(٧) سورة المنافقون، آية ١٠.
(٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج٤، ص٤٧٥.

والأولاد؛ لأن "من يشتغل بتثمير أمواله عن تدبير أحواله وبمرضاة أولاده عن إصلاح معاده "**فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**" العريقون في الخسران المختصون به، حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني"[١].

ثم يرغبهم في البذل ويحضهم عليه بحثٍ وإزعاج وتكليفٍ لأنه دليل على الإقبال على الله عز وجل "وتحرير للمؤمن من أخلاق المنافقين"[٢]. ويدعوهم إلى تدارك الوقت والعمر من قبل أن يرى أحدهم دلائل الموت "ويعاين ما ييأس معه من الإمهال، ويضيق به الخناق، ويتعذر عليه الإنفاق، ويفوت وقت القبول، فيتحسر على المنع، ويعض أنامله على ما كان ممكناً منه"[٣]. وقدم المفعول على الفاعل "وذلك للاهتمام بالمقدم والتشويق للمؤخر"[٤].

حينئذٍ يتذكر ربه ويناديه مقبلاً عليه بالحض من خلال التمني –حيث أن التمني هو بداية الرغبة– طالباً الأمر المحال في إعادة وتكرار تأخير الأجل مبيناً أن غايته من التأخير "ليقضي فيه العمل الصالح فقط وليس يتسع الأمل حينئذٍ لطلب العيش ونضرته"[٥]، فيبادر إلى التصدق الذي كان قد دعي إليه إذ علم أن التصدق من "أسباب الصلاح والطاعة كما أن تركه من أسباب الفساد والفسق"[٦].

وهناك ملحظ بلاغي وهو زيادة الياء في "**أَخَّرْتَنِي**" بينما حذفت في سورة الإسراء "**لَوْلَا أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**"[٧]، "فذكر الياء، وذلك أنه تردد فعل التأخير مرتين في سورة "المنافقون" في حين ذكر مرة واحدة في سورة "الإسراء" فزاد في موطن الزيادة وحذف في موطن الاجتزاء"[٨].

---

(١) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق إبراهيم محمد رمضان، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، ١٩٨٩، ج٣، ص١٨١٤.

(٢) سعيد حوى، الأساس في التفسير، مرجع سابق، ج١٠، ص٥٩٣٤.

(٣) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج٦، ص١٢٩.

(٤) عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٦هـ/١٤٧١م)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج٤، ص٣٠٦.

(٥) المصدر ذاته.

(٦) إسماعيل حقي البرسوي (ت ١١٣٧هـ/١٧٢٤م)، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٩، ص٥٤١.

(٧) سورة الإسراء، آية ٦٢.

(٨) فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني دراسة بيانية في الأسلوب القرآني، الطبعة الأولى، دار عمار، ١٩٩٨، ص٨٥.

فهذا المتناسي لنفسه يريد أن يتدارك ما فات بهذا الحض والذي به طلب بإزعاج وتكرار وتوصل لهذا الحض بالتمني ثم بعد ذلك بالشرط فهو يقول: "يا رب إن أخرتني أصّـــدّق واكـــن من الصالحين"[1].

---

[1] "فأصدق" مضارع منصوب "بـــأن" مضمرة بعد الفاء في جواب التمني، و"أكن" فيها قراءتان بـــالجزم علـــى محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتني أتصدق وأكن معناه هلا أخرتني، بالنصب "وأكون" فهو على لفظ فـــأصدق أي فأصدق وأكون"، الزجاج، معاني القرآن، مصدر سابق، ج٥، ص١٧٨.

المطلب الخامس

أداة التمني (لعــل) واستعمالها في السياق القرآني

"لعــل": "حرف مشبه بالفعل من أخوات أنَّ، تنصب الاسم وترفع الخبر"[١] وإنما عملت لعل عمل الفعل؛ "لأن فيها معنى الفعل، فمعنى لعل: ترجيت، ولأنها على أربعة أحرف، مثــل: دحرج، ولأنها مبنية على الفتح مثل الفعل الماضي"[٢].

والغرض البلاغي الذي تفيده "لعــل" في التمني هو "الدلالة على استحالة الأمر المتمنــى بها، وذلك لبعد المرجو عن الحصول فأشبه المحالات والممكنات التي لا طماعية في حصولــها فيتولد منه التمني"[٣].

وقد استعمل التمني في القرآن الكريم بأداة التمني "لعل" في هذا السياق.

إبراز التمني في صورة الممكن للتمويه والخداع

قال تعالى "**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلهِ مُوْسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً..**"[٤].

كان فرعون مدعياً للألوهية "**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمِ الأَعْلَى**"[٥]، "وأن روح الله قد تمثلت فيه وأنــه هو الحارس للكهنة ورفات ملوك مصر وملبساً على الجهال أمرهم"[٦] بقوله: إن الخير هو منبعه "**وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي**"[٧] والكنوز العظيمة، والجنات الغناء هي ملكي.

ثم بعد ظهور دعوة موسى عليه السلام وبلوغها الآفاق، كان الموقف صعباً على فرعون وملئه فأراد أن يقلل من شأن هذه الدعوة ويصرف قومه عن متابعة موسى.

وكان موسى عليه السلام قد بين لفرعون أن الطريق في معرفة الله تعالى إنما هو الحجة

---

(١) سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ج٢، ص١٤٨.
(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، مصدر سابق، ج١، ص١٠١.
(٣) السيوطي، شرح عقود الجمان، مصدر سابق، ج١، ص١٥٠.
(٤) سورة غافر، آية ٣٦-٣٧.
(٥) سورة النازعات، آية ٢٤.
(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٠، ص١٢٣.
(٧) سورة الزخرف، آية ٥١.

والدليل كما قال "**رَبُّكُم وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ**"[١] "**رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ**"[٢].

ولكن فرعون بخبثه كان قد تغافل عن هذا الأمر، وأراد أن يكسب الرأي العام ببعض الجهالات "فألقى إلى الجهال أنه لما كان لا طريق إلى الإحساس بهذا الإله، وجب نفيه"[٣]، فقد كانت عقائد أهل الضلالة قائمة على التخيل الفاسد، "وكانت دلائلها قائمة على تمويه الدجالين من زعمائهم"[٤].

وأراد أن يظهر لقومه أنه جاد في طلب الحق، فنراه يتولى بنفسه البحث عن الآلهة المزعومة؛ لأنه كان قد قال لقومه "**مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي**"[٥]، فكان أن أمر وزيره هامان أن يبني له بناءً ظاهراً لا يخفى على الناظر من أي مكان نظر إليه"[٦] يبلغ به عنان السماء، ليرى الإله الذي زعمه موسى، "ولما أراد تفخيم ما علم ببلوغه من أسباب السماوات، أبهمها ثم أوضحها، ولأنه لما كان بلوغها أمراً عجيباً أراد أن يورده على نفس متشوفة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب"[٧] فقال "**لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلهِ مُوسَى**" "**فَأَطَّلِعَ**" مبالغة في الطلوع، واستعار حرف الرجاء إلى معنى التمني "إشارةً إلى بعد ما ترجاه"[٨]، وأنه يتمنى أمراً محالاً غير ممكن في العادة لأن "بلوغ أسباب السماوات غير ممكن، لكن فرعون أبرز ما لا يمكن تمويهاً على سامعيه"[٩].

وهذا سياق جديد من سياقات التمني وهو: إبراز الأمر أمام الخلق بنوع طمع في حصوله، وهو في حقيقته قد استقر في نفس قائله أنه مما لا طمع في حصوله. وهذا ما جرى من فرعون حيث كان يريد أن يموه على قومه، فكشف الله خبثه فهو سبحانه العالم بدخائل النفوس.

---

(١) سورة الشعراء، آية ٢٦.
(٢) سورة المزمل، آية ٩.
(٣) عمر بن عادل، اللباب في تفسير آيات الكتاب، مصدر سابق، ج١٧، ص٥٤.
(٤) ابن عاشور، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج٢٠، ص١٢٣.
(٥) سورة القصص، آية ٣٨.
(٦) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مصدر سابق، ج٧، ص١٤٩.
(٧) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج٥، ص٣٤٨.
(٨) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٤، ص١٤٥.
(٩) أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج٧، ص٤٤٦.

الفصل الثالث

أسلوب التمني مظهر من مظاهر إعجاز القرآن

تـــمهيد

المظهر الأول: دقة تصوير الحالات النفسية.

المظهر الثاني: قوة الكلمة في إبراز المعنى المراد.

المظهر الثالث: تنوع طريقة العرض.

المظهر الرابع: الواقعية في أسلوب التمني.

المظهر الخامس: التوجيهات التربوية.

تـــمهيد:

نوه القرآن الكريم بعظم شأن النفس الإنسانية، وخطورة مكانتـــها بـــأن جعلـــها قرينـــة الأرض؛ لما فيها من ناحية احتوائها على الآيات والعلامات والدلائل، وقرينة السماء الواســـعة المليئة بالعجائب، فقال عز وجـل "**وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**"[1]. وما ذلك إلا لندرسها ونستخلص سلوكها لننقذها من براثن الجـــهل والضلال، ونرتفع بها إلى أسمى درجات الرفعة والعزة.

ولكن القرآن الكريم –بإعجازه– "عرَض لطبيعة النفس الإنســـانية وكشـــف لنـــا عـــن خصائصها، بإعطائنا رموزاً عامة، وإرشادات كلية، تصور خطوطاً أساسية رئيسية في أحـــوال النفس وطبائعها، وما تكنّه في داخلها. والإعجاز من وراء تلك الإرشادات يستطيع أن يصـــول ويجول، وأن يستخرج من الألفاظ العامة والتعبيرات الكلية ما يكون تفصيـــلاً للعـــام، وتحليـــلاً للمجمل الموجز"[2]، فالقرآن يخاطب فينا ملكات وأحاسيس عميقة لا يعلمها إلا الله تعالى.

"ومهما كان تحايل هذه النفس على إخفاء خباياها بالتكتم والمراوغة، ومهما كان تجافيـــها عن الحقيقة بالتنصل والمرافعة ومهما حاولت هذه النفس أن تبطن غير ما تظهر أو تخفي خلاف ما تعلن، فإن ربك بها خبير وعليها قدير، يكشف كل ما أكنت، ويبدي كل ما أخفت، وسواء أكان قولها سراً أو جهراً فهو العليم بأمره ونهيه وهو المحيط بسره وجهره"[3].

إعجاز القرآن:

معنى إعجاز القرآن "عجز الناس عن أن يأتوا بمثله، فكلمة إعجاز مصدر وإضافتها إلى القرآن من إضافة المصدر لفاعله فكأن التقدير أعجز القرآن الناس أن يأتوا بمثله، ومعنى ذلك أن هذا القرآن الكريم دل بما فيه من بيان على أنه من عند الله وثبت عجز النـــاس عـــن أن يـــأتوا بمثله"[4].

وقد جاء الإعجاز القرآني في أسلوب التمني من جانبين كانا خادمين له فـــي تكوينـــه، وتصويره ليكوّن نسيجاً متحداً يكون أسلوب التمني في القرآن هما:

---

(1) سورة الذاريات، آية ٢٠-٢٢.
(2) أحمد الشرباصي، هكذا يتحدى القرآن، دار الاعتصام، ص١٣٠ بتصرف.
(3) إبراهيم محمد سرسيق، النفس الإنسانية في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار تهامه، جدة، ١٩٨١، ص١٢.
(4) فضل عباس، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص٢٨.

١- الإعجاز النفسي وهو الأصل.

٢- الإعجاز البياني وهو خادم للأصل.

فالإعجاز البياني جاء خادماً للإعجاز النفسي، إذ الوقوف على الحالة النفسية والصورة النفسية لا تتأتى دون الوقوف على اللطائف البيانية للآيات، وخاصة السياق والكلمة فإن لهما دوراً فاعلاً في تشخيص الحالة النفسية.

تعريف الإعجاز النفسي:

الإعجاز النفسي له جانبان:

١- حديث القرآن عن النفس الإنسانية، وبيان لصفاتها وتحليله لها وكشفه لخباياها وخفاياها[١].

٢- تأثير القرآن في النفس الإنسانية، سواء كانت مؤمنة أم كافرة، وما ينتج عن هذا التأثير في النفس من نتائج وثمرات[٢].

والجانب الأول هو الذي كان له أثر بارز في إعجاز القرآن في أسلوب التمني.

أما الجانب الثاني، فإنه يدخل في الجانب التربوي التوجيهي الإرشادي والذي نأخذه من الدروس المستفادة من هذا الأسلوب.

تعريف الإعجاز البياني:

"الإعجاز البياني يقوم على النظم: وهو ترتيب لكلمات القرآن في جملها من جهة، واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة"[٣].

والإعجاز البياني هو "الإعجاز البارز الواضح، إذ كان به التحدي في بداية نزول القرآن، حيث كان العرب في العصر الجاهلي أرفع وأرقى وأقوى شيء في البيان والفصاحة والبلاغة"[٤].

إلا أن القرآن بعد ذلك كان للناس جميعاً، عربهم وعجمهم في وجوه الإعجاز المتعددة، ومنها الإعجاز النفسي بجانبيه.

---

[١] صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، الطبعة الثالثة، دار عمار، عمان، ١٩٩٢، ص٣٣٤.
[٢] المرجع ذاته.
[٣] فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص١٦٥.
[٤] صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص١٣٦.

وأسلوب التمني في القرآن يستمد تأثيره المميز من روافد عدة تتجمع في هذا الأسلوب وتمنحه قدرة على التأثير قادرة على استهواء القلوب والإمساك بمقاليد النفس البشرية.

فلفظ التمني "يا ليت" لا نستطيع أن نأخذ الإعجاز منها وحدها، بل لابد من انتظام كل أجزائه الأخرى في سلكه.

يقول أحمد بدوي: "إن الأسلوب قد يروعك ويبهرك، فإذا أخذت مفرداته كل مفردة على حدة لا تجد فيه كبير روعة، ولا قوة أسر، ولكن عندما انتظمت هذه المفردات في سلك فلاءمت ما قبلها وارتبطت بما بعدها، اكتسبت جمالاً وجلالاً"[1].

المظهر الأول

(١) دقة تصوير الحالات النفسية:

نلاحظ في هذا الأسلوب دقة تصوير الحالات النفسية، والإحاطة بجميع أبعادها لتصبح صورة واضحة تماماً حتى ظهرت فيها المشاعر النفسية، والأبعاد الزمانية والمكانية، حيث أصبحت صورة حية، لا تستطيع الأساليب العربية تصويرها؛ لما فيها من الجانب الغيبي الذي لا يطلع عليه إلا خالقها العالم بجميع مكوناتها الداخلية العميقة.

يقول سيد قطب: "وهذا التصوير في القرآن تصوير حي، منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة، تصوير تقاس فيه الأبعاد والمسافات، بالمشاعر والوجدانات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة"[2].

وفي هذا التصوير الدقيق، تصبح الصورة واضحة في نفس القارئ أو السامع، فتكون وسيلة فعالة في الفكر والعاطفة وهز المشاعر.

وسبق أن تناولت تصوير القرآن للحالات النفسية في أسلوب التمني عند الدراسة التطبيقية بشيء من التفصيل، إلا أني سأذكر هنا دراسة موضوعية للحالات النفسية التي صورها القرآن الكريم في أسلوب التمني؛ بجمع كل مثال إلى شبيهه ووضعها تحت نماذج عامة، ومستشهداً على ذلك بذكر بعض الأمثلة التي سبق ذكرها، من باب التمثيل وليس الإعادة والتكرار. وقد صوّر القرآن الكريم الحالات النفسية في أسلوب التمني من خلال النماذج الآتية:

١- أمنيات المؤمنين الصادقين.

---

[1] أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، الطبعة الثالثة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ص٥٤.
[2] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، مرجع سابق، ص٣٥.

٢- أمنيات المؤمنين ضعيفي الإيمان.

٣- أمنيات الكفار في الآخرة يوم القيامة.

٤- أمنية الكافر المعاند.

٥- أمنيات اليهود.

أولاً: أمنيات المؤمنين الصادقين:

صوّر القرآن الكريم الحالة النفسية التي يتولد عنها التمني والشعور الفيّاض والأحاسيس والمشاعر.

فبيّن أن أمنيات المؤمنين لا تكون لعرض دنيوي، وإنما تكون أمنياتهم نابعة من الصدق واليقين والصبر والخوف على الدين.

ففي أمنية مريم -عليها السلام- "**يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًا**"[١] صوّر لنا القرآن الكريم الحالة النفسية التي اعترتها عندما اضطرها وألجأها طلق الحمل بسيدنا عيسى -عليه السلام- في تمنيها الموت كشفت هذه الأمنية عن مدى المعاناة التي تعانيها واسوداد الحياة في وجهها، إذ -الأمنية مرآة يظهر بها ما يخفيه الإنسان في داخله- وهي الطاهرة المطهّرة من عند الله المصطفاة على نساء العالمين، المنقطعة لعبادة الله، ذات المنبت الطيب، والخشوع لله سبحانه وتعالى، وكيف أنها لم تفكر بنفسها فقط، ولكن بأهلها بإبعاد العار عنهم، "إننا لنكاد نرى ملامحها ونحس اضطراب خواطرها، ونلمس مواقع الألم فيها"[٢].

فنلاحظ كيف صوّرت المشاعر الصادقة والعواطف والانفعالات، وكيف برزت بدقة متناهية، ثم بعد ذلك كيف وجدت أمنيتها طريقاً إلى الفرج، فنجد الرحمن يفرّج عنها كل ذلك في لحظة، ويبرئ جراحها، وترى من الآيات ما يملؤها ثقة به تستهين معها بكل شيء.

وأيضاً الرجل المؤمن صاحب القرية -رضي الله عنه-، صوّر القرآن الكريم الحالة النفسية التي اعترته عندما سمع بدعوة الرسل فجاء يسعى "**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ**"[٣].

فكل المؤشرات والعلامات تدل على صدقه، فلم تثنه بعد المسافة، ولم يأت متراخياً بل

---

(١) سورة مريم، آية ٢٣.
(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج١٣، ص٤٣٣.
(٣) سورة يس، آية ٢٠.

جاء يسعى، وأخذ يحاجج ويحاور قومه ويتدرج معهم حتى وصل إلى النتيجة الصحيحة الحتمية التي لا يضل عنها إلا جاحد لا ينفع معه الإقناع العقلي شيئاً، ثم صوّر القرآن حالته النفسية بعد استشهاده، عن طريق تمنيه الدال على حبه للخير لغيره، كما يحبه لنفسه واتصال شعوره، ووجدانه بقومه.

(٢) أمنيات المؤمنين ضعيفي الإيمان:

صوّر القرآن الكريم في هذا الأسلوب أمنيات المؤمنين وعامة الناس ضعيفي الإيمان، وكيف تنشأ هذه الأمنيات، بتحديد البواعث التي يتولد عنها التمني، وبذلك يوفر لنا القرآن خطاً وافراً من صفات النفس الإنسانية، وصوّر بدقة متناهية صفاتهم ونفسياتهم وطريقة تفكيرهم.

ففي أمنية الغنيمة التي تمناها ضعيفو الإيمان، "**يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُم فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً**"[١] صوّر الله –عز وجل– الاضطراب في المشاعر بنظرتهم للأمور من ناحية المصلحة الدنيوية العاجلة فقط، وفقدهم للروح الإيمانية، فهم لا يحبون الخير لغيرهم ويريدون أن يأخذوا من جهدهم دون أن يكلفوا أنفسهم المشقة والتعب.

ولا يرون نعمة الله وفضله على المؤمنين نعمة وفضلاً عليهم أيضاً، فهم لا يحسبون أنفسهم من جملة المؤمنين "**كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ**"[٢].

وهذا وجه من وجوه التحدي في القرآن الكريم –إظهار ما يحرص الإنسان على إخفائه، فيأتي القرآن ليمزق الحاجز النفسي ويظهر ما في داخله من أسرار إمعاناً بالتحدي.

وفي تمني العامة مثل ما أوتي قارون "**يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ**"[٣] يُظهر الله لنا قصر عقلهم ووقوفهم على المحسوسات دون النظر إلى العواقب والمآلات.

فقد بين الله عز وجل – منشأ التمني من الجهل والغرور بزخارف الدنيا، ثم تطوّر هذا التمني في أنفسهم وأخذهم كل مأخذ وغيّر من مفاهيمهم إلى أن تتجلى سنة الله وقدرته فتخسف بقارون، فيعودون إلى رشدهم.

---

[١] سورة النساء، آية ٧٣.
[٢] سورة النساء، آية ٧٣.
[٣] سورة القصص، آية ٧٩.

(٣) أمنيات الكفار يوم القيامة:

صوّر القرآن الكريم لأمنيات الكفار يوم القيامة، وبيّن مبعث هذه الأمنيات المختلفة، إذ أن أمنيات الكفار ليست على درجة واحدة، فهذا يريد أن يهرب وهذا يريد أن يكون تراباً. وهذه الأمنيات لها مواقع مختلفة، فهناك أمنيات لهم وهم على أبواب جهنم، وهناك أمنيات في المحشر قبل دخولهم النار، وهناك أمنيات لهم بعد دخولهم النار بفترة قصيرة، وهناك أمنيات بعد دخولهم للنار وتيقنهم بالخلود.

وقد عرض القرآن لنفوسهم وهي تلفها اللهفة المكروبة والندم والأنين والصراخ، والأمنيات الحارقة الملتهبة والذل والتوسل.

ففي صورة الكافر الظالم "**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً**"[١]، صوّر القرآن حالته النفسية يوم القيامة وما به من غيظ وندامة وحسرة بعض يديه، فلا تكفيه يد واحدة، ويطلق صرخات الندم وعبارات الأسف، ويصدر أصواتاً مديدة حسيرة.

وصوّر القرآن لارتفاع زفراته وتنهداته كلما صار الموقف أصعب، ومن ثم بعدت النجاة فتزداد معها الأمنيات الأكثر صعوبة.

وصوّر لنا القرآن الكريم شعور الكافر يوم القيامة، وقد أدرك بوضوح أن الحياة الدنيا لم تكن إلا وهماً باطلاً، وأن لو قدم للحياة الباقية "**يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**"[٢].

وفي هذا تعبير دقيق عن شعور الإنسان يومئذٍ وندامته، فقد سمّاها حياته لأنها دائمة لا انقطاع لها.

"والقرآن حين يعرض مشاهد العقاب الذي يصطليه أعداء الله لا يكتفي بعرض العقاب الحسي، وإنما يبرز أيضاً جانب العقاب النفسي؛ ليكون العقاب كاملاً، جسدياً ونفسياً وليكون الزجر والتخويف منه أبلغ في النفوس"[٣].

ومن الملاحظ أن القرآن إنما يهتم بإبراز العقاب النفسي "عند الحديث عن السادة وعلية القوم، فهؤلاء هم الذين يؤلمهم العقاب النفسي بالإهانة والإذلال أشد مما يؤلم عامة الناس"[٤].

---

[١] سورة الفرقان، آية ٢٧.
[٢] سورة الفجر، آية ٢٣-٢٤.
[٣] عبد الحليم حفني، التصوير الساخر في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص٢١٣.
[٤] المرجع ذاته.

والقرآن يصور مرحلة أخرى بعد الإذلال لأعداء الله هي "مرحلة الإيلام النفسي، وهي السخرية منهم، وإن كان الإذلال مهين للنفس الكريمة، ولكن السخرية يزيد عليها مرة وهم يصطلون العذاب البدني، وهم قادمون عليه، حتى لا يبقى فيهم شيء غير معذب من أجسادهم ونفوسهم معاً"[1].

(٤) أمنية الكافر المعاند في الدنيا:

من إعجاز القرآن الكريم، الخروج عن المألوف، وهو الإتيان بشيء جديد لم يألفه الناس ولا يلتفتون إليه ولا يعلمونه ولا يضعونه في الحسبان، فيأتي القرآن لينبههم إليه ويعلمهم به. ومن هذا أمنية فرعون "**لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا**.."[2]، ففي تمنيه بلوغ أسباب السماوات والأرض ما يدل على أن الأماني كما تخرج من أصحاب الإرادة الضعيفة تكون من أصحاب الإرادة القوية، والمعاندين والمتكبرين.

فقد كشف الله عز وجل لنا عما في داخله وعراه وإن لبس على الناس، وأخرج ما تمناه مخرج الترجي، إلا أنه في الحقيقة تمن من أعماق قلبه.

إبراز هذه الأمنية النفسية ما يدل على أن الإنسان ضعيف في الحقيقة رغم ما يظهر عليه من جبروت، وما يميل إليه من طغيان، إذا مارس السلطة.

وهو ضعيف بالرغم من محاولاته لإظهار نفسه بمظهر القوة وإحاطتها بمظاهر الأبهة والعظمة.

(٥) أمنيات اليهود:

صوّر لنا القرآن الكريم كذب اليهود في ادعاءاتهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، بطلب تمني الموت على جهة التعجيز، ولكن الله العليم بما في نفوسهم المطّلع على ما جبلت عليه من حب الدنيا وتعلق بما يظهر كذبهم في دعواهم تلك.

فقد تحّدى القرآن اليهود في تمني الموت الاختياري، وكان بوسعهم أن يكذبوه، لكنهم لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً، وحكم القرآن على ذلك الأمر حكماً مستقبلياً تعدى به حواجز الزمان والمكان.

---

[1] عبد الحليم حفني، التصوير الساخر في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص٢١٣.
[2] سورة غافر، آية ٣٧.

يقول الزمخشري "وقوله "**وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً**"[1] من المعجزات؛ لأنه إخبار بالغيب، وكان كما أخبر به، كقوله "**وَلَنْ تَفْعَلُوْا**"[2]. فإن قلت: ما أدراك: أنهم لم يتمنوه؟ قلت: لأنهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث، ولكان ما نقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولي المطاعن في الإسلام أكثر من الذر، وليس أحد منهم نقل ذلك، فإن قلت: التمني من أعمال القلوب، وهو سر لا يطلع عليه أحد، فمن أين علمت أنهم لم يتمنوا؟ قلت: ليس التمني من أعمال القلوب، إنما هو قول الإنسان بلسانه: "ليت لي كذا"... ومحال أن يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب، ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا: قد تمنيا الموت في قلوبنا، ولم ينقل أنهم قالوا ذلك"[3].

"وكذلك يظهر كذب دعواهم، وزيف ادعاءاتهم؛ لأنهم ما استجابوا لهذا الأمر، فلم يتمنوا الموت ولو تمنوه لماتوا جميعاً"[4]. وبذلك يتضح أن نفوسهم كانت متيقنة بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن غطى على قلوبهم الكفر والجحود. وفي هذه الأمنية يكشف ويصور القرآن طريقة تفكير اليهود، وإن كانوا هم والكافرون مشتركين في سلوك واحد، إلا أن لكل واحد منهم طريقة تفكير مختلفة.

المظهر الثاني

قوة الكلمة في إبراز المعنى المراد

الكلمة في القرآن تعد من أهم أركان الإعجاز في النظم، ويظهر ذلك جلياً في أسلوب التمني، فقد اختيرت الكلمات بعناية فائقة؛ لتحتل مكانها في الجملة بحيث لا يغني فيه سواها، ولتنهض بدورها في تأدية المعنى على أكمل وجه وأتم بيان، "كاللبنة في البناء ينتقيها البناء من بين أخواتها؛ لأنها أنسب لموضعها وأشد امتزاجاً بجاراتها، وأقدر على إبراز جمال البناء وأقوى على تماسكه وصلابته"[5].

يقول ابن عطية "وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"[6].

---

(1) سورة البقرة، آية ٩٥.
(2) سورة البقرة، آية ٢٤.
(3) الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج١، ص٢٩٩.
(4) المصدر ذاته.
(5) عبد الغني محمد سعد بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهجا، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة وهبة، ١٩٨٣، ص٢٨٦.
(6) ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق، ج١، ص٦٠.

والقرآن لم يبتكر ألفاظاً كانت مجهولة قبله "بل الجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد وأمسها رحماً بالمعنى، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها، وهي أحق به بحيث لا يجد في لفظة إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين"[1].

والكلمة في أسلوب التمني من الروافد التي كان لها أثر واضح في إبراز المعنى وبث الحركة والمشاعر؛ لتكون إعجاز القرآن في هذا الأسلوب ويمكن إبرازها من خلال الخصائص التالية:

(١) التصوير في الكلمة:

حتى تلامس المعاني أعماق القلوب، لم يكن هناك في ألفاظ التمني سرداً جافاً بعيداً عن إقناع العقول وإثارة الوجدان والخيال، بل اختيرت ألفاظ التمني مصورة بذاتها، قادرة على إبراز المعنى في صورة ماثلة يتملاها الخيال، ويدرك أبعادها، ومن ثم ألقت في النفس بإيحاءاتها الخاصة. يقول سيد قطب "والأداة التي تصور المعنى الذهني، والحالة النفسية؛ وتشخص النموذج الإنساني أو الحادث المروي، إنما هي ألفاظ جامدة، لا ألوان تصور ولا شخوص تعبر أدركنا بعض أسرار الإعجاز في تعبير القرآن"[2]. "والقرآن يصور بالحوار كما في القصص، وبالمفردات وبأسس النظم"[3]. ويقول أحمد بدوي: "إن تصوير الأمر المعنوي في صورة الشيء المحسوس يزيده تمكناً في النفس وتأثيراً فيها"[4]، ومن هذه الكلمات:

فكلمة "**ليبطئن**" في قوله تعالى "**وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً**"[5].

فقد صوّرت هذه الكلمة الحالة النفسية العجيبة للمبطئين في كيفية مزاولة التبطئة المتعمّدة للمسلمين، فالمتباطئ يقاوم حركات الرافعين له، والصورة الصوتية في هذه الكلمة رسمت

---

(١) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، مرجع سابق، ص٩٢.
(٢) سيد قطب، التصوير الفني، مرجع سابق، ص٣٤.
(٣) المرجع ذاته، ص٧٨.
(٤) أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، مرجع سابق، ص٦٥.
(٥) سورة النساء، آية ٧٢.

الحركة. يقول سيد "وأنّك مدرك أن صورة التطبئة أدتها كلمة "**لَيُبَطِّئَنَّ**" بجرسها، إضافة إلى ما أدته النونات في الكلمتين السابقتين من تأكيد لهذا الجرس الخاص"[١].

فكلمة "فكبكبوا" في قوله تعالى "**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ**"[٢].

نلحظ في هذه الكلمة القرآنية تصوير جزئيات الحركة وتصوير للحدث، فالصوت هو الذي يوحي بذلك ويرسم الحركة لمحاكاة الحدث بصورة بطيئة.

"فتكرر الكب: وجعل التكرر في اللفظ دليلاً على تكرير في المعنى، كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها"[٣].

فكلمة "يسعى" في قوله تعالى "**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ**"[٤].

فنلمس أن هذه الكلمة صورت الحركة القوية السريعة لتوافق الدافع الشعوري القوي وتترجم إلى واقع حسي مشاهد منظور مؤثر غاية التأثير.

ونلمس إحساس الباقلاني بقوة الحركة لدى إشارته إلى قدرة تصوير بعض الآيات "ومما يصور لك الكلام الواقع في الصفة تصوير ما في النفس، وتشكيل ما في القلب حتى تعلمه، وكأنك مشاهده"[٥].

فنلاحظ أن الكلمة رهينة الحالة الشعورية قد بث فيها الحركة، وجسّمت المعنى، فخاطبت الحواس بالحديث عن أمر ذهني.

يقول عبد الكريم الخطيب "أفاض الله سبحانه عليها –الكلمات– هذا الفيض، ونفخ فيه من روحه، كما نفخ في عصا موسى، لكنه مع ذلك أبقى على تلك الكلمات طبيعتها التي يعرفها الناس منها، كما أبقى على عصا موسى طبيعتها كذلك"[٦].

---

[١] أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، مرجع سابق، ص٦٥.
[٢] سورة الشعراء، آية ٩٥.
[٣] الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج٤، ص٤٠٠.
[٤] سورة يس، آية ٢٠.
[٥] محمد بن الطيب الباقلاني، (٤٠٣هـ/١٠١٢م)، إعجاز القرآن، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١، ص٢٧٨-٢٧٩.
[٦] عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي بمصر، ١٩٦٤، ج٢، ص٢٩٥.

(٢) الاختزان (ثراء المعنى):

من سمات بعض المفردات في أسلوب التمني اختزان المعاني إلى حد مرض لا يصل إلى التعتيم كما يعطي الكلمة ثراءً، فتصوير الكافرين يوم القيامة "**وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مردٍ من سبيل * وتراهم يعرضون عليها خَاشِعِيْنَ مِنَ الذُّلِ يَنْظُرُوْنَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍ**"[١].

فإن كلمة "**خَفِيٍ**" تختزن كل المعاني النفسية التي يتسم بها ذلك الذليل، وهي منتزعة من صورة بصرية، وتختزن كل تأوهاته، وحنقه على من أضله، وقد رأى العذاب وتوحى بإيجاز رائع بخجله من خالقه وانكساره.

وفي أمنية الكفار "**فَلَو أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ**"[٢]، فنرى أن لفظة "**كَرَّةً**" قد اختزنت الغيظ والحقن والضغن الشديد من الاتباع يصوّره القرآن الكريم من خلال هذه اللفظة.

فالقرآن ينتقي من الألفاظ جوامعها وأغناها بالدلالة. يقول الجاحظ "إنه –أي القرآن– قد يدل بالكلمة الواحدة والكلمات المختصرة على معاني متعددة يطول شرحها، وإذا أراد المتكلم العادي التعبير عن المعاني التي أرادها القرآن لم يصل إلى بغيته إلا بلفظ أطول، وأقل دلالة"[٣].

(٣) انتقاء الكلمات المناسبة للمواقف:

صوّر القرآن الكريم أمنيات المؤمنين الصادقين بألفاظ عذبة سهلة سلسة محمودة تدل على صدقهم وعمق إيمانهم؛ لما لهم من التشريف والمكانة العالية.

بينما نجد تصوير قبح أعمال الكافرين وأمنياتهم بمفردات الضجر لتوائم شناعتهم، فأمنيات الكافرين ذكرت في ثنايا الحديث عن اليوم الآخر، وما عاينوا من شدته أو الحديث عن جهنم وأهوالها فناسب هذا "أسلوب التقريع والكلمات القوية، كأنها هي الرعد القاصف، كلمات تقريع القلوب وترتجف لها النفوس وترتج من سماعها الأفئدة"[٤].

---

[١] سورة الشورى، آية ٤٤-٤٥.
[٢] سورة الشعراء، آية ١٠٢.
[٣] عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ص٩٤.
[٤] فضل عباس، إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص٤٩.

وهذا ما أسماه الخطابي "البليغ الرصين الجزل"[1]، في حديثه عن أجناس الكلام المخاطب به المخاطبون.

ففي أمنية الكفار العودة إلى الدنيا نجد أنهم يأتون بالمادتين "ردَّ" و"كرَّ" من الفعل المضعّف الدالة على الرد بقوة وسرعة. ولذا لم يعبروا بالفعل نرجع أو نعود استطالة لزمنه.

وكذلك نجد ألفاظ الإبلاس المطبق والعويل والندب والأنين، لذلك كثرت حروف الليـن والغنة.

أما أمنيات المؤمنين، فجاءت في سياق المدح والثناء عليهم، لذلك كانت بأسلوب التأنيس، والذي معه الكلمات الرقيقة التي تتدفق عذوبة وحيوية.

وهذا ما أسماه الخطابي "الفصيح القريب السهل"[2].

فكلمة "يسعى" في قوله تعالى "**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى**"[3].

جاءت في الحديث عن صاحب القرية، فهذه الكلمة أكثر ما تستخدم في الأمور المحمودة كما قال الراغب[4].

---

(1) حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م)، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاثة رسائل من إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ص٢٦.

(2) المرجع ذاته، ص٢١.

(3) سورة يس، آية ٢٠.

(4) الأصفهاني، مفردات القرآن، مصدر سابق، ص٤١١.

يقول الزركشي "جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة، وهما كالمتضادتين لا يجتمعان غالباً في كلام البشر، لأن الألفاظ التي لا توجد إلا ما يقسو بها من القوة وبعض الوعورة، والعذوبة منها ما يضادها من السلاسة والسهولة، فمن نحا نحو الصورة الأولى، فإنما يقصد الفخامة، والروعة في الاستماع... ومن كلام نحا نحو الثانية قصد كون الكلام في الاستماع أعذب وأشهى وألذ... ترى ألفاظ القرآن قد جمعت في نظمه كلتا الصفتين... وذلك أعظم وجوه البلاغة في الإعجاز"[1].

ويقول الرافعي "ألفاظ إذا اشتدت، فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة ومعان بينه هي عذوبة ترويك من ماء ورقة تستروح معها تسليم الجنان، إذا هي بعد ذلك إطباق السحاب"[2].

المظهر الثالث

تنوع طريقة العرض في أسلوب التمني

نجد أن القرآن الكريم لا يكتفي بعرض المعاني عرضاً مجرداً في أسلوب التمني؛ لأن طبيعة النفوس لا تقف طويلاً مع المعاني المجردة، لأن تأثيرها غير شديد، فقد يطلب من المرء أمر لا يستجيب له، ثم يطلب منه هذا الأمر نفسه بأسلوب آخر، فإذا هو يستجيب؛ لأن الأسلوب يحمل إشارة لمشاعره.

والله العليم الخبير بتكوين الإنسان وطبيعته، يريد أن يأتيه من كل جوانبه وزواياه حتى يحمله على الامتثال والعمل؛ لذلك نجد أن أسلوب التمني لم يعرض بطريقة مجردة، ولكنه عرض من خلال:

١- القصص القرآني.

٢- المثل.

٣- مشاهد يوم القيامة.

"والهدف من هذا التنوع ليس لمجرد تنوع الأساليب، وإنما لغرض أبعد من ذلك، هو: مخاطبة كل عوامل التأثير في الإنسان: من عقله وغرائزه ووجدانه، فحينما يعيد القرآن عرض

---

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٧.
[2] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص٣٠.

هذه الحقيقة، إنما يعيدها في ثوب آخر، وهذا الثوب مصنوع لغرض معين هو التأثير في زاوية من زوايا الإنسان"[1].

أ- القصص القرآني:

الأسلوب القصصي أسلوب مؤثر بتصويره للحوادث والمشاهد ورسم الشخصيات وملامحها، وما تخفيه في داخل أنفسها، ويؤثر في النفس البشرية بغريزة حب الاستطلاع، ويؤثر بقدرته على الإشارة والتشويق بما يتخلله من مفاجآت، ومؤثر باستعانته بالخيال حين يترك فجوات في سياق الأحداث، تاركاً للخيال أن يستكملها بتصوره، ليكون أقوى أثراً في النفس.

ولذلك كانت القصة القرآنية تتضمن توجيهات وإرشادات أثناء عرضها لتؤثر في القارئ والمستمع:

ففي قصة مريم: تابعنا لحظة بلحظة قصتها: فرسمت أولاً مريم عليها السلام بوضوح شخصيتها وملامحها، وتتابعت أحداث القصة.. باجتماع الآلام الجسدية والنفسية عند الوضع.. نجد الرحمن يفرج عنها كل ذلك في لحظة.

لقد برز الغرض الديني هنا، وبرزت مشاهد القصة، وبرزت معها قوة العواطف والانفعالات، وهذا اللون هو يطبعها ويغلب فيها على الألوان الأخرى.

ب- الـمثل:

للمثل تأثير عجيب في النفوس، ويقوم بتقريب المعاني إلى الذهن بأسلوب حسن.

وللتمثيل -كما يقول الزمخشري- دور مهم في إبراز خبيئات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى كأنه مشاهد "فهو مما يكشف المعاني ويوضحها؛ لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها، إضافة إلى أن التمثيل إنما صار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم وكأنه مشاهد"[2].

يطلق المثل ويراد به "القول السائر الذي يمثل مضربه بموارده، وحيث لم يكن ذلك إلا قولاً بديعاً فيه غرابة صيرته جديداً بالتيسير في البلاد وخليقاً بالقبول فيما بين كل حاضر وباد

---

[1] عبد الحليم حفني، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ص٤٤.

[2] الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج١، ص١٩١.

استعير لكل حال أو صفة أو قصة لها شأن عجيب وخطر غريب من غير أن يلاحظ بينها وبين شي آخر تشبيه"[1].

- **مثال الجنتين: "وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ..."[2].**

يريد القرآن الكريم أن يبين عاقبة المؤمنين والكافرين ومصير المقرين بنعم الله المؤدين لحقها، وأولئك الجاحدين لأفضاله المتعالين بما في أيديهم من أموال، فلا يذكر ذلك بأسلوب تجريدي ذهني بل يصوره في هذا المثل الرائع.

"وهكذا يعرض علينا المعاني في هذا التصوير المعجز المؤثر الذي يؤديه المثل فيصل إلى أعماق النفوس ويمزجه بحنايا القلوب، ويستهوي به الوجدان فيستسلم الإنسان لما يتضمنه من إعياء وما يسوقه من عبر ودروس"[3].

- **مثال أصحاب القرية: "وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ"[4].**

ففي مثال أصحاب القرية الذي عرض بشكل قصة عبرة مثيرة للخوف من عقاب الله، ومحركة للطمع بفضله، فالذين كذبوا رسل الله أهلكوا في الدنيا بالصيحة ولهم في الآخرة عذاب النار. أما الرجل المؤمن الذي دعاهم إلى الله ونصر رسل ربه واستشهد في سبيل الله، فقد دخل الجنة وغفر الله له وجعله من المكرمين.

فعرض أسلوب التمني من خلال الأمثلة: أمثلة متعددة تبين سنن الله تعالى في معاملة عباده ومجازاتهم بالثواب والعقاب – ليحرّض طمع الطامعين بفضله كي يؤمنوا ويعملوا صالحاً، وليثير خوف الخائفين من عدله ليتجنبوا ما يسخط الله سبحانه من عقيدة أو نية أو عمل.

ج- مشاهد يوم القيامة:

نجد من خلال استعراض آيات التمني أن أكثرها وقوعاً كانت يوم القيامة، لارتباط معنى التمني بالمستحيلات، ومن خلال هذا الأسلوب صوّر لنا الله –عز وجل– وقرب إلينا نار جهنم وما فيها من أهوال وشدائد.

فعندما وصف الله سبحانه ما يعتري الكفار حين معاينتهم لنار جهنم أو عند دخولهم فيها أو وهم في داخلها طاف بنا الخيال، فإن كنا لم نر النار بعد، إلا أن خيالنا قد صوّر لنا صورة

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، مصدر سابق، ج١، ص٤٠.
(2) سورة الكهف، آية ٣٢.
(3) عبد الغني بركة، أسلوب الدعوة القرآنية، مرجع سابق، ص٣٠٠.
(4) سورة يس، آية ١٤.

النار المنفردة المخيفة وقد رسمت في أذهاننا وأصبحنا نتصورها من شدة وضوح هذا التصوير من خلال أمنياتهم.

ومشاهد التمني في يوم القيامة كثيرة ومع "تعدد المشاهد وأساسها واحد، لم ينشأ نوع من التكرار، فكل مشهد يختلف عن سابقه في كلياته أو جزئياته، وهذا لون من الإعجاز"[1].

"ومشاهد يوم القيامة مشاهد حية، منتزعة من عالم الأحياء، مشاهد تقاس فيها الأبعاد والمسافات بالمشاعر والوجدانات والخواطر والخلجات، إنها مشاعر تراها العين وتحس بها النفس"[2].

ومشاهد يوم القيامة تصوّر "الهول الذي يشمل الطبيعة كلها ويغشى أنفس الإنسانية ويهزها، وقلما يخلو مشهد من هذا"[3].

وفجر القرآن طاقة التأثير ببيانه بما أسبغه على جهنم من صفات جديدة وتصوير لأهوالها، بما يكنه التخيل الذي تبعثه المفردة في ثوبها الجديد من التأثير، وجسّم القرآن العذاب المادي المحسوس، وقد أجاد القرآن في تصويرها تصويراً يبعث الرهبة في النفوس، والهلع في القلوب، والخوف من أن يكون المصير إليها فتلجأ إلى العمل تتقي به لظاها، وتتخذه ستراً بينها وبين لفحها.

كما فجّر القرآن طاقة التأثير لجنهم في النفس الإنسانية وضاعف قدرة التأثير من خلال الجوانب التالية:

١- السياق:

مشاهد يوم القيامة مشاهد متعددة يكون للناس أحوال مختلفة فيها يعرض الله -سبحانه وتعالى- عدداً من هذه المواقف؛ فالكافرون ليسوا على درجة واحدة في أمنياتهم، فهذا يريد أن يفر، وهذا لو اتخذ مع الرسول سبيلاً، وهذا يتمنى أن يكون تراباً.

لذلك حتى تتجلى روعة هذه المواقف يجب أن لا تفصل في الدراسة عن مواضعها في السياق، وذلك كي لا "يحجب الكثير من قيمتها، وإن جمال هذه المشاهد وروعتها وقوتها لا تتجلى كما تتجلى في سياقها القرآني، بين جو السورة التي يرد فيها المشهد، والموضوع الذي

---

[1] سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار المعرفة، مصر، ١٩٦١، ص١٠.
[2] المرجع ذاته، ص٣٧.
[3] المرجع ذاته، ص٤١.

تعالجه السورة كله، والزاوية التي تعالجه الصورة منها، فهي مع المشاهد ومع القصص التي ترد فيها وحدة متكاملة، تبدو فيها قيمة المشاهد كما تبدو فيها قيمة القصص"[1].

والتمني يكون نابعاً من الجو العام الذي يحدده السياق، وموضوع السورة، إذ أن السورة الواحدة تتعدد أغراضها، وموضوعاتها، وآيات التمني غالباً ما تأتي في ثنايا الحديث عن اليوم الآخر.

٢-استحضار المشهد:

ويعمد القرآن في تحقيق هذا الجانب إلى إيثار صيغة المضارع التي تجعل المشهد كأنه حاضراً مشاهداً تراه العين وتسمعه الأذن.

فمشهد الظالم وهو يعض على يديه "**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ**"[2]، جعل الله -عز وجل- المشهد شاخصاً وموقفاً حياً فيه الحركة من خلال استخدامه الفعل المضارع.

(يقول) فهو يقول ويعيد ويكرر هذا القول.

فقد ساعد في عرض الآية بطريقة تأثيرية، وكأن السامع يشارك في الندم والأسف والأسى.

وكثيراً من آيات التمني نجد فيها إيثار صيغة المضارع، فنرى أعداء الله أمامنا وكأن ما سيقع حاضر مشاهد.

٣-إطالة المشهد:

المشاهد التي يصوّرها القرآن تلقي في النفس انطباعات مناسبة لما يريد القرآن أن يوحي به، ويريد أن يعمّق هذه الانطباعات في النفوس لتكون أقوى في التأثير، فيعمد إلى إطالة المشهد، لتعرض له النفس زمناً أطول وتعيش في جوه مدة أكثر، فيكون لذلك أثره في استقرار هذه الانطباعات وتمكنها في النفوس، ومن ثم تأخذ النفس من أقطارها، وتملأ جوانبها، وتقودها إلى الاستجابة لما توحي به.

فبعد أن يعرف الكافر أن إلى النار مصيره، يقف في هذا العرض الحافل الحاشد، وقفة المتحسّر الكسير الكئيب "فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه".

---

[1] سيد قطب، مشاهد يوم القيامة، مرجع سابق، ص٢٢٩.
[2] سورة الفرقان، آية ٢٧.

"وهي وقفة طويلة، وحسرة مديدة، ونغمة يائسة، ولهجة بائسة، والسياق يطيل عرض هذه الوقفة حتى ليخيل إلى السامع أنها لا تنتهي، وأن هذا التفجع والتحسّر سيمضي بلا غاية! وذلك من عجائب العرض في إطالة بعض المواقف، وتقصير بعضها وفق الإيحاء النفسي الذي يريد أن يتركه في النفوس، وهنا يراد طبع موقف الحسرة وإيحاء الفجيعة من وراء هذا المشهد الحسير ويتمنى هذا البائس أنه لم يأت هذا الموقف، ولم يؤت كتابه، ولم يدر ما حسابه، كما يتمنى أن لو كانت هذه **القارعة** ..... فلا يعود بعدها شيئاً"[١].

وكذلك عرض موقف الظالم يوم القيامة "عرضاً طويلاً مديداً، يخيل للسامع أن لن ينتهي ولن يبرح"[٢].

وهذه الإطالة من الإعجاز، إذ هو إطناب يقتضيه المقام ليحقق غاية يرمي إليها المشهد.

٤- التوكيد والتكرار:

التوكيد من أهم الوسائل في تثبيت المعنى في القلوب وبثّه في النفوس وحملها على التصديق والإيمان

"والقرآن الكريم استخدم التوكيد وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه، وإقراره في أفئدتهم، حتى يصبح عقيدة من عقائدهم. وقد يكرر القرآن الجملة المؤكدة عدة مرات بألفاظها نفسها، علماً منه بما لذلك من أثر في النفوس"[٣].

والقرآن الكريم بوصفه كتاب دعوة في المقام الأول -يركز على استخدام هذا الأسلوب المؤثر لتثبيت معانيه في نفوس قارئيه وتقرير قضايا في أفئدتهم.

ويتوسع القرآن في استخدام هذا الأسلوب في مشاهد يوم القيامة، فيؤكد معانيه بطرق متعددة، تقوية للمعنى الذي سيق التعبير لتأكيده ودعمه.

ومن التوكيد الذي استخدمه القرآن في مشاهد يوم القيامة، "التوكيد بالتعبير بالفعل الماضي بدل المستقبل والتعبير عن المستقبل بصيغة الماضي من صور مجيء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، بقصد الإشارة إلى تيقن وقوعه وتأكيد حدوثه، فهذه المشاهد لم يأت زمانها بعد، ولكن عبر عنها بصيغة الماضي ليدل على تحقق الوقوع"[٤].

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٢٩، ص٢٥٧.
(٢) سيد قطب، مشاهد يوم القيامة، مرجع سابق، ص٩٨.
(٣) أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، مرجع سابق، ص١٤٣.
(٤) عبد الغني بركة، أسلوب الدعوة القرآنية، مرجع سابق، ص٣٢٥.

فقال تعالى مؤكداً لرسوله صلى الله عليه وسلم وقوع يوم القيامة وما سيحل بالكفار بقوله "**وَلَو تَرَى إِذْ وُقِفُوْا عَلَى النَّار**"[1].

فـ"إذ" للماضي والحدث في المستقبل لم يكن بعد، ولكن عبر بالماضي للتنبيه على أن هذا الأمر مقضي وأنه واقع لا محالة، وهذا هو معنى التأكيد وأمثلته كثيرة.

التكـــــــرار:

مشاهد يوم القيامة موزعة في أغلب سور القرآن الكريم، وذلك لأهميته من حيث أن أساس السلوك البشري في الدنيا هو اليقين باليوم الآخر؛ لأنها محور الدين، لذلك كان لابد من توضيحها توضيحاً شديداً بأساليب كثيرة تخاطب كل المؤثرات في الإنسان.

ومن هنا نعلم أنه ليس في هذه المشاهد تكرار كما يفهم من لفظ التكرار؛ حيث إن هذه المشاهد لا يكرر المشهد فيها بألفاظه ولا بمعانيه كما هي وإنما يكرر الحقيقة، والفرق كبير بين الحقيقة والمعنى. كما في قوله تعالى: "ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً"[2]، مع قوله تعالى "يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا"[3].

والقرآن بهذا يعلو على كل أساليب الأدب من حيث التكرار، فالتكرار لجوهر الفكرة غير معيب قط في الأدب.

"وإنما العيب في الأدب أن يعيد أديب ثوبا أدبيا ألبسه أديب سابق بمعنى من المعاني، أما المعنى فهو متاح لكل الأدباء، ينسج كل منهم عليه كما يشاء، أو يلبسه كل منهم الثوب الأدنى الذي يراه ملائما"[4].

ولكن القرآن الكريم زيادة على كونه يجدد القالب عند تكرار الحقيقة في كل مرة "يراعى أن يكون لكل قالب هدف معين يرمي إليه، بينما يكفي عند الأدباء مجرد التنويع في عرض القوالب الأدبية"[5].

---

[1] سورة الأنعام، آية ٢٧.
[2] سورة الفرقان، آية ٢٧.
[3] سورة الأحزاب، آية ٦٦.
[4] عبد الحليم حفني، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٤٧.
[5] المرجع ذاته.

والتكرار في مشاهد يوم القيامة للكفار في أمنياتهم ليس بتكرار، وإنما مواقف مختلفة وليست واحدة، لكل موقف أمنية خاصة به.

فعندما يرى الكفار الحساب وشدته يتمنون أن تكون القاضية وعندما يحاسب الله الدواب يتمنون أن يكونوا تراباً، وعندما يشاهدون نار جهنم مشرفين على كل ما فيها من أنواع العذاب تكون أمنية.

وعندما يرون الشفعاء ولم يبق في النار غيرهم تكون هناك أمنية، ففي كل موقف أمنية خاصة به.

فكل موقف نرى أن هناك تحديداً وتغييراً وإضافات وتنويع، وبذلك نرى أن القرآن قد راعى كل المواقف في صياغة المشهد المكرر بالتفنن في الخصائص التعبيرية مما يجعل المشهد مختلفاً عن سابقه في شكله وطريقة أدائه بعد أن تنوع في مضمونه ومحتواه.

وبذلك يتسع مضمون المشهد الواحد، ويراه المتأمل شيئاً جديداً.

٥-دقة التراكيب وخواصها:

يتبع نظام الجملة في مشاهد يوم القيامة المعنى المراد أداؤه، فهو يختار من أوضاع اللغة وطرائقها في التعبير أقدرها على تصوير المعنى وإبرازه مقدراً لكل شيء موقعه وقدره كي يأتي التعبير في النهاية في أكمل صيغة يمكن أن يؤدى المعنى بها.

فإذا قدم أو أخرّ، وإذا حذف أو ذكر، وإذا عرّف أو نكر... إلى أخر ما يمكن أن تكون عليه الصياغة في أوضاع؛ فإنه لا يفعل ذلك لمجرد الصناعة اللفظية، بل لأن المعنى هو الذي جعل تركيب التعبير على هذه الصورة أو تلك ضرورة لا مفر منه، فكل شيء عنده بمقدار، ولكل شيء سره البلاغي الذي يتطلبه المعنى ويقتضيه المقام.

"والجملة القرآنية تتبع المعنى النفسي، فتصوّره بألفاظها لتلقيه في النفس، حتى بلغ إذا استكملت الجملة أركانها، برز المعنى ظاهراً فيه المهم والأهم، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية فحسب، ولكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الآية ضرورة لا معدى عنه، وإلا اختل وانهار"[١]، "فكتاب الله "كتاب أحكمت آياته، ثم فصّلت من لدن حكيم خبير"[٢]، "ذلك خير ما

---

[١] أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، مرجع سابق، ص١٠٥.
[٢] سورة هود، آية ١.

توصف به الجملة القرآنية، فهي بناء أحكمت لبناته ونسقت أدق تنسيق، لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها، أو تنبو عن موضعها"[1].

ويستخدم القرآن في تعبيره عن مشاهد يوم القيامة كلاً من الجملة الاسمية والفعلية، ولكنه يتوخى في كل موضع اختيار المناسب للمقام، فيؤثر الفعلية إذا أضاف التعبير بها اعتباراً يحتاجه المعنى، كالإشارة إلى التجدد والحدوث، كالأفعال الصادرة عن الكفار؛ فإنها تتجدد في كل حين وتقع في كل وقت. ومن هنا كانت الجملة الفعلية وصيغة المضارع الدالة على الحال والاستقبال هي المعنية في التعبير عنها.

كما تؤثر الجملة الاسمية إذا كان المقام يتطلبها، كأن يريد الإشارة إلى الاستمرار والثبوت، وأن الأمر دائم لا يتغير، كالذي في شأن الكفار "وما هم بخارجين من النار"[2]، فالحكم ثابت والخزي دائم، ومن هنا جاء ما تضمنته الجملة من تأكيد.

وقد يؤثر القرآن التعريف بـ"أل" لسر بلاغي: لاستغراق الجنس كما في "ويوم يعض الظالم..."[3].

وقد يؤثر الفعل المبني للمجهول، وهذا كثير في يوم القيامة، وذلك لتهويل أمر النار وتفظيع حال أهلها في "ولو ترى إذ وقفوا..."[4]؛ و"وقفوا" لبيان أن الإيقاف هو المنكى، فهو وقوف ذل وندم، وكما في قوله "يوم تقلب وجوههم"[5]، فيلاحظ أنه تقليب غير اختياري، وذلك لتمس النار جميع وجوههم. وكما في قوله "أوتي كتابه بشماله"[6]، يأخذ الكافر الذل والعذاب النفسي قبل العذاب الجسدي لسبب عدم تعين الموتى.

وقد يؤثر القرآن التنكير، لأنه المناسب للمقام، مثل تنكير كلمة "مودة" وكذا "سبيل" في قوله تعالى "هل إلى مرد من سبيل"[7]. وهذا للمبالغة في تلمس أي سبيل أو وسيلة للتخلص من العذاب الذي عاينوا أهواله.

وعلى هذا يصور الله عز وجل مشاهد يوم القيامة "فيؤثر منها أمسها رحماً بالمعنى وأقدرها على الوفاء به وعرضه في صورة استوفيت شرائط البلاغة واكتملت لها القدرة على

---

(1) أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، مرجع سابق، ص١٠٥.
(2) سورة البقرة، آية ١٦٧.
(3) سورة الفرقان، آية ٢٩.
(4) سورة الأنعام، آية ٢٧.
(5) سورة الأحزاب، آية ٦٦.
(6) سورة الحاقة، آية ٢٧.
(7) سورة الشورى، آية ٤٤.

التأثير حتى إذا ما انتهت صياغة المعنى بدا التعبير، وكأنه بناء هندسي بلغ الغاية في الكمال والجلال، ويهزك إيقاعه وتناسقه وتمتلكك صوره وظلاله، وتستولي عليك إيحاءاته ومعانيه ويبهرك جماله وجلاله ويأخذ عليك نفسك كلها، ومن هنا كان تأثير القرآن في النفوس وامتلاكه أزمة العقول والقلوب"[1].

٦-إثارة الخيال:

لمضاعفة التضخيم وزيادة التأثير في النفوس بمعانٍ لا حدود لها عميقة الأبعاد نلاحظ أن القرآن يعتمد في مشاهد يوم القيامة على إثارة الخيال، فالتخيل كان حاضراً في هذا الأسلوب؛ ليعمل السامع فكرة وعقله، تاركاً لخيالهم المجال الرحب في تصور المشهد من خلال التعابير التي تحمل في طياتها هذا المعنى:

ففي قوله تعالى "ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا.."[2]، حذف الجواب ليكون أبلغ ما يقدره السامع، ويذهب العقل والتفكير كل مذهب.

"والقرآن يعبر بالصورة المحسة المتخيلة في خيال القارئ عندما يتملى الصورة التي ترسمها الآية فيتخيلها ويتأملها ويتملاها ويتذوقها، وكأنه يرى أمامه صورة معروضة أو مشهداً مرسوماً، تكاد تشبه الشريط التمثيلي المصور"[3].

وفي هذا من التضخيم وزيادة التأثير في النفوس، ما يحمل السامع للاستجابة لأمر ربه.

٧-الحوار:

وهو من الوسائل التي حفلت بها مشاهد يوم القيامة؛ لتزيد من قوة التأثير بها وترسم المشاهد، وتضفي عليه من الحيوية التي تزيد في تمثله ووضوحه.

ونجد أن أسلوب التمني قد حفل بالحوار بشكل واضح، ولم تأت المحاورات عرضاً في سياق الآيات وإنما هي غرض أساسي في هذا الأسلوب له سماته البارزة الواضحة.

فمن سمات المحاورة في أسلوب التمني نجد أن هذه المحاورة تتجه إلى إبراز الحجة والمنطق العقلي وتتابع التسلسل المنطقي مهما بلغ من صور الافتراضات التي تتنافى مع أسس

---

(١) عبد الغني محمد سعد بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهجا، مرجع سابق، ص٣٤٩.
(٢) سورة الأنعام، آية ٢٧.
(٣) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، مرجع سابق، ص٣٤.

القرآن، فهي تشحذ العقل والنشاط الذهني لمتابعة المحاورة بين المتحاورين والصراع العقلي الذي يدور بينهما والحجج التي يتحاوران بها.

وكذلك كان من سمات المحاورة في هذا الأسلوب: "المحافظة على حق الخصم وإنصافه من كل وجه، سواء أكان المحاور –الذي يمثله القرآن– شخصاً مؤمناً عادياً، أم كان شخص نبي من الأنبياء، فالأمر واحد في المحاورة؛ وهو إبراز حق الخصم وإنصافه"[1].

وكذلك نجد التنوع: حيث إن هذا الأسلوب قد شمل كثيراً من أوجه معاني التمني المختلفة.

وكذلك نجد من سمات المحاورة: الرفق بالمهزوم، وهذه عند انتصار القرآن، أو من يمثله القرآن، فنجد "احتفاظ المحاورة بالرفق بالخصم في كل الأطوار، ففي طور المحاورة نفسها رأينا كيف يرفق القرآن بالخصم ويحميه من الأذى حتى تنتهي المحاورة ثم تعلن النتيجة"[2]، وذلك لأن هدف المحاورة هو التركيز على إعلان النتيجة وإبرازها، لأنها محور الخصومة، وإعلانها في صورة الإعلام والنشر الذي يستهدف أن يكون في أوسع نطاق ممكن هو هدف مقصود، وهو نشر الدين، فإن نتائج محور المحاورات هي الدين نفسه، أما الخصم ذاته فنحس أن محاورة القرآن لا تهدف إلى النيل منه أو إيذائه، حتى بعد إعلان خطئه، لأن هدف المحاورة جذب كل الناس إلى الدين بما فيهم الخصوم، وإيذاء الخصوم قد يزيدهم بعداً بينما المهم هو تقريبهم.

ومن أمثلة ذلك: محاورة صاحب القرية مع قومه الكافرين المكذبين؛ فقد تدرج معهم تدرجاً عقلياً ونفسياً حتى وصل إلى النتيجة الصحيحة الحتمية التي لا يضل عنها إلا جاحد لا ينفع معه الإقناع العقلي شيئاً، فبهذه الكلمات الموجزة راعى صاحب القرية كثيراً من النواحي التالية:

١– المحافظة على صلته بالخصوم وتقربه إليهم بقوله "يا قوم" أملاً في كسب إيمانهم.

٢– أعلن استنكاره لعبادة غير الله.

٣– أعلن الحكم على اتخاذهم غير الله إله أنه شرك.

٤– بين لهم قدراً كافياً من مزايا الإله الواحد الذي يدعوهم إليه أنه "فطرني".

---

[1] عبد الحليم حفني، أسلوب المحاورة في القرآن، مرجع سابق، ص٣١.
[2] المرجع ذاته، ص٣٦.

ففي هذا المثال رأينا كيف أن هدف المحاورة، كان إبراز لحقيقة وحدانية الله تعالى وبطلان الشرك، ولم يكن هدفها هدفاً شخصياً أو نفعياً.

وحينئذٍ يشحذ السامع عقله لمتابعة المحاورة ومن ثم استيعاب الصراع العقلي والحجج المتبادلة، وهذا من أهم أهداف القرآن: استخدام العقل وشحذه للوصول إلى الحق.

ومن سمات المحاورة أنها "تخاطب غريزة من أسمى غرائز الإنسان لقربها من العقل ولصوقها بالمعرفة؛ وهي غريزة حب الاستطلاع"[1].

من ناحية اشتمال المحاورة على طابع القصة في أقوى حالات إثارتها: وهي حالة تصارع قوتين، وإن المتابع لصراع قوتين في أي قصة؛ يكون غالباً منحازاً بعواطفه ومشاعره من حيث لا يقصد إلى القوة الأساسية في القصة.

ومن سمات المحاورة: "أنها تثير مشاعر الإنسان وانفعالاته"[2]، فالصراع يثير مشاعر المشاهدين أو المستمعين، لذلك كان في هذا الأسلوب كسب انفعال السامعين ومشاعرهم، ليكون هذا جانباً من جوانب جذبهم إلى الله، كمحاورات موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية وما يثور في نفس السامع لهذه المحاورة من خوف على موسى أو توقع لما يصدر من فرعون؛ فعندما أمر فرعون ببناء الصرح "**لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ**"[3] وحشد فرعون كل طاقاته وقوته لبناء هذا الصرح تكذيباً لموسى عليه السلام أمام الناس يثور انفعال الخوف على موسى مما سيحدث له ولدعوته.

ومن أهم سمات المحاورة: "الدعوة إلى الله"[4]

ففي محاورات السادة والأتباع أو الأصدقاء أو الكافرين يوم القيامة مع بعضهم البعض، هدف يريد القرآن أن يبرزه ويوضحه في النفوس وهو لفت الأنظار إلى خطورة انقياد الاتباع الأعمى وراء السادة، موضحة أن هؤلاء السادة لن يغنوا عنهم عند الله شيئاً، مع أنهم جميعاً مشتركون في ذلك، ولكن الهدف: مخاطبة الأتباع وتبصيرهم بسوء اتباعهم لهؤلاء السادة الذين يصدونهم عن سبيل الله.

وهذا النوع من المحاورات يمس جانباً كبير الأهمية في حياة المجتمعات وهو: القيادات

---

(1) عبد الحليم حنفي، أسلوب المحاورة في القرآن، مرجع سابق، ص٤٧.
(2) المرجع ذاته.
(3) سورة غافر، آية ٣٦.
(4) عبد الحليم حفني، أسلوب المحاورة في القرآن، مرجع سابق، ص٤٣.

وما ينبغي أن تكون عليه؛ فأما أهمية القيادات فلأنها في حقيقتها أمر طبيعي في حياة الناس على اختلاف أنواعهم، ولذلك يوليها القرآن اهتماما واضحا، ومن ذلك المحاورات العديدة التي تنصب على هذا الموضوع.

"وأهمية القيادات في نظر الدين: أن السادة والقادة هم في كل العصور العقبة الأساسية في وجه الأنبياء وفي طريق انتشار الدين، وذلك لأنهم يرون في الدين هدفا لسيادتهم وانتقاصا من نفوذهم وقيادتهم فهم عقبة تسود بين الدين والناس، فعامة الناس هم هدف الدين وهم بغية الأنبياء ولكن السادة في كل العصور هم العقبة التي تحول دون وصول الدين إلى العامة، وتحول بين العامة والدين في صد كل ما يرونه متجها إليه من الناس، والعامة إذا وجدوا سادتهم صادّين صدوا، معرضين أعرضوا من باب التقليد، وقد تكون حجة العامة أن السادة أفقه وأعلم"[1].

ومن هنا كان اهتمام القرآن بقضية السادة، حيث وجه إليهم حملة قوية ظاهرةً، لما اتخذوه من جاه وسلطان للصد عن الدين، ليحطم هذه العقبات ليتاح للدين أن يأخذ مجراه إلى الناس دون عوائق.

المظهر الرابع

الواقعية في أسلوب التمني

وأعني بذلك أن القرآن الكريم من خلال أسلوب التمني يعالج أحداثا وقعت بالفعل أو ستقع يوم القيامة، وليس عبارة عن أمثلة تضرب أو افتراضات غير واقعية وتخيلات لا أساس لها.

لذلك فالعظة والعبرة التي تستخلص من أسلوب التمني يكون لها معنى وأثر في الأسلوب.

وفي هذا؛ يحدد لنا القرآن بدقة متناهية المواضع التي يصلح فيها التمني والمواضع التي لا يصلح فيها.

فكان القرآن يتجاوز الحادثة المروية الخاصة ويخلدها أنموذجا عاما يتكرر في بني الإنسان لا يتقيد بالزمان ولا بالمكان. وفي هذا تأكيد لصلاحية القرآن لكل زمان ومكان، من خلال جعل آيات التمني أمثلة مضروبة للناس جميعا من حيث تكررها في كل زمان؛ فلو نظرنا

---

[1] عبد الحليم حفني، أسلوب المحاورة في القرآن، مرجع سابق، ص٤٣.

إلى أي عصر من العصور، فسنجد الذين يتخذون الشفعاء والأنـــداد لله عــز وجــل، وســنجد طواغيت المال الذين يعبدونه من دون الله أمثال قارون.

ومن هنا، نجد أن القرآن عالج التمني من خلال:

١) استحضار المشهد وتصويره.

٢) تحديد الحالة النفسية التي يصورها النص.

٣) معالجة هذه الحالة من خلال عرض أسباب الوقوع في هذا التمني، ومن ثم معالجـــة كــل سبب:

ففي أمنية ضعفة المؤمنين للغنيمة -بدون وجه حق- صور الله سبحانه وتعالى حالـــهم وبين سبب نشوء التمني في أنفسهم وأنه بسبب تصوراتهم الخاطئة، ثم عالج هــذه التصــورات بأرق عبارة وألطف قول يحمل صاحبه على التأمل والتفكر في حقيقة حاله.

والإسلام دين الفطرة؛ لا ينكر على الإنسان تمنيه، إذ هو جزء من تفكيره: فحب الســعة واليسار والتشهي فيما أباحه الله أمر مفطور عليه الإنسان، ولكنه يهذب هذا التمني ويضعه فــي موضعه الصحيح، ويبين أن التفكير وإطالة الذهن فيما لا طائل من ورائه إضاعة للوقت وإهدار له:

ففي تمني العامة ما آتاه الله لقارون؛ لم يكن مفزع العلماء مجرد التمني، إذ تمنى مثل ما للغير -كما تمنى قوم قارون- ليس فيه إثم ومنكر في شيء، فلأي شيء كان مفزعهم إذاً؟

كان مفزع العلماء لشيء أعمق من ذلك وأخطر "فهؤلاء العامة هم الغالبية العظمى فــي القوم، وهذا التمني بهذا الصعوبة يدل على سيطرة المظاهر على نفوسهم، والمجتمع الذي تتحكم فيه المظاهر مجتمع أجوف لا خير فيه ولا مستقبل له؛ بل هناك جانب أخطر من ذلك أثار فــزع العلماء، وهو أن قارون لم يكن صالحاً وإنما استغل ما أوتيه في الشر والفساد، وتمنـــي غالبيــة المجتمع أن يكونوا مثله، معناه: أنه مجتمع متجه نحو الشر، ومشرف على الهاوية، فأدنى صور التأمل تنبئ عن أن هذا المجتمع سيكون كله فاسداً لو أصبح مثل قارون، وهذه الصورة لابــد أن تفزع كل مصلح وكل حريص على مصلحة مجتمعه"[١].

---

[١] عبد الحليم حنفي، أسلوب المحاورة في القرآن، مرجع سابق، ص٢٠٦.

فالعلماء كانوا في غاية الدقة، فهم وإن أظهروا الفزع واضحاً في قولهم "ويلكم"؛ إلا أنهم لم يصفوا قوم قارون بالمنكر أو الجرم في تمنيهم ما تمنوا؛ لأنه مما جبلت النفوس عليه، وإنما جعلوها مفاضلة بين أماني القوم وبين ثواب الله تعالى قائلين "ثواب الله خير".

لذلك حرص الإسلام على كل لحظة وخاطرة تمر في العقل، أن تمر مراً سليماً. يقول العلامة ابن القيم: "مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري، هو الخواطر والأفكار؛ فإنها توجب التصورات والتصورات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي ووقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة، فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار، وفسادها بفسادها"[1].

"واعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر، فيأخذها الذكر فيؤديها إلى الإرادات، فتأخذها الإرادة فتؤديها إلى الجوارح والعمل، فتستحكم فتصير عادة، فردها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوتها وتمامها"[2].

"فإذا دفعت الخاطر الوارد عليك اندفع عنك ما بعده، وإن قبلته صار فكراً جوالاً.. ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار، وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات، وإصلاح الإرادات أسهل من تدارك فساد العمل، وتداركه أسهل من قطع العوائد"[3].

وبعد هذا يأتي العلاج، قال ابن القيم –رحمه الله–: "فصلاح الخواطر بأن تكون مراقبة لوليها وإلهها صاعدةً إليه، دائرةً على مرضاته ومحابه، فإنه سبحانه به كل صلاح ومن عنده كل هدى.."[4].

"ومعلوم أنه لم يعط الإنسان إماتة الخواطر، ولا القوة على قطعها، فإنها تهجم عليه هجوم النفس، إلا أن قوة الإيمان والعقل تعينه على: قبول أحسنها، ورضاه به ومساكنته له، وعلى دفع أقبحها وكراهته له ونفرته منه"[5].

وعن علاج آخر يقول: "فأنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك، فالفكر فيما لا يعني باب كل شر، ومن فكر فيما لا يعنيه أي ما لا صلاح له، ولا خير في دنياه وآخرته" فاته ما يعنيه، واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه، فالفكر والخواطر

---

[1] محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، كتاب الفوائد، دار العلوم الحديثة، بيروت، ص١٧٣.
[2] المرجع ذاته.
[3] ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد، مصدر سابق، ص١٧٥.
[4] المصدر ذاته.
[5] المصدر ذاته، ص١٧٤.

والإرادة والهمة أحق شيء بإصلاحه في نفسك، فإن هذه خاصتك وحقيقتك التي تبتعد بها أو تقرب من إلهك أو معبودك الذي لا سعادة لك إلا في قربه ورضاه.. ومن كان في خواطره ومجالات فكره دنيئاً خسيساً لم يكن في سائر أمره إلا كذلك"[1].

وهذه النفس لا يمكن أن تخلو من الخواطر، وهذه الخواطر هي التي توجه النفس "وقد خلق الله سبحانه النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن، ولابد لها من شيء تطحنه، فإن وضع فيها حب طحنته، وإن وضع فيها تراب أو حصى طحنته، فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى ولا تبقى كل الرحى معطلة قط.. فمن الناس من تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملاً وحصى وتبناً ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجين والخبز تبين له حقيقة طحنه"[2].

"فإياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك، فإنه يفسدها عليك فساداً يصعب تداركه ويلقي إليك أنواع الوساوس والأفكار والمضرة، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك وأنت الذي أعنته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك فملكها عليك"[3].

فالتمني وإن بدا أنه خواطر لا يستطيع الإنسان ردها إذا أتت ولا ضبطها إذا انطلقت، إلا أن الله سبحانه بيّن لنا أن التمني داخل في حد الاختيار. قال تعالى: "**ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض..**"[4].

فأرشدنا سبحانه في هذا النهي: "إلى تحكيم الإرادة التي تتحدث بها أنفسنا لتصرفها عن الجولان فيما هو لغيرهم، كما يصرفون أجسامهم عن أن تجول في ملك غيرهم بدون إذنه وتوجهها وقت الفراغ من الأعمال إلى ما هو أنفع وأشرف كالتفكير في ملكوت السماوات والأرض، وسنن الله تعالى في هذا الخلق"[5].

ومن هنا يتضح لنا حرص الإسلام على تهذيب التمني ووضعه في مواضعه الصحيحة.

وبناءً على ما سبق؛ يمكننا أن نقسم التمني المذموم إلى قسمين:

---

(1) ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد، مصدر سابق، ص١٧٥.
(2) ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد، مصدر سابق، ص١٧٤.
(3) المصدر ذاته، ص١٧٥.
(4) سورة النساء، آية ٣٢.
(5) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مرجع سابق، ج٥، ص٥٦.

(١) "ما لا يتعلق به الكسب ولا ينال بالعمل والسعي، ولا يعاب المفضول فيه بالتقصير ولا يمدح الفاضل فيه بالجد والتشمير، كاستواء الخلقة وشرف النسب، فتمني أمثال هذه المزايا لا يصدر إلا عن سخافة في العقل ومهانة في النفس.

(٢) ما ينال بالجد والسعي كالمال والجاه.. ولا يشتغل بتمني هذا إلا ضعيف الهمة ساقط المروءة جاهل بقدر استعداد الإنسان"[١].

"والله يرشدنا إلى علو الهمة، لأن الجاه الحقيقي إنما ينال بالجد والكسب كالعلم النافع وعمل المعروف، وهمم الرجال لا يقف أمامها شيء، ولكن أكثر الناس غافلون عن استعدادهم يتكئون على اجتناء ثمرة غيرهم"[٢].

وقد ذكر الزركشي –رحمه الله– خمسة أنواع للتمني، أذكرها فيما يلي ملخصة:

قال رحمه الله: "هو أنواع:

"أحدها": تمني الرجل حال الآخر من دين أو دنيا على أن يذهب ما عند الآخر وهذا حرام، إذ هو الحسد.

"الثاني": أن يتمنى الرجل نفقة وإن لم يتمن زوال حاله في نعيم الدنيا –وهذا– غير منهي عنه وقوله عليه الصلاة والسلام "لا حسد" المراد به الغبطة.

"الثالث": أن يتمنى خلاف الأحكام الشرعية على جهة التحكم إلى الشريعة والتطرق إلى رفعها، كتمني أن الخمر لم يحرم، فهذا مذموم حرام ومنهي عنه.

"الرابع": أن يتمنى على الله من غير أن يقرن أمنيته بشيء، فذاك جائز ما لم يكن في هوى نفس، كقوله تعالى "**واسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ**".

"الخامس": أن يتمنى فعل العبادات وإن تعذرت عليه، ولاشك أنه يثاب على ذلك، وقد ثبت تمني الشهيد في الدار الآخرة أن يرجع إلى الدنيا"[٣].

---

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مرجع سابق، ج٥، ص٥٩.
(٢) المرجع ذاته، ج٥، ص٥٦.
(٣) محمد عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م)، في أحكام التمني، نسخة خطية بمكتبة برلين، برقم ٢/٥٤١٠، مخطوطة. وقد حصلت عليها عن طريق المراسلة مع مكتبة برلين.

المظهر الخامس

التوجيهات التربوية

نجد من خلال هذا الأسلوب أن هناك أهدافاً تربوية تنشدها آيات التمني، ففي كل آية من الآيات درس وموعظة يريد القرآن إثباته وتحقيقه وفي كل آية خصوصية لا نجدها في غيرها. ومن هذه التوجيهات التربوية ما يلي:

١. تعرية الباطل وتزييفه وفضحه:

فعرض القرآن لأمنيات المتبوعين التخلص والتبرؤ من الأتباع فيه نوع من تجلية حقيقة هؤلاء السادة يوم القيامة، حتى يتمثل السامعون صورتهم الحقيقة، فبدلاً من أن تمتلئ النفوس إعجاباً بهم أو تهيباً لهم، إذا هي تمتلئ سخرية منهم ونفوراً من صورتهم المزرية.

٢. توضيح الحق وتثبيته:

فجميع آيات التمني الواقع في يوم القيامة: فيها اعتراف من المجرمين بالحق والصواب الذي قصروا فيه وتغافلوا عن الحق، ينقله الله سبحانه على ألسنتهم في غمرة العذاب مثل:

١. عدم التكذيب بآيات الله سبحانه وتعالى "**يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**"[١].

٢. طاعة الله تعالى وطاعة رسوله "**يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا**"[٢].

٣. الإيمان بالرسول وعدم تكذيبه "**يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا**"[٣].

٤. الحياة الآخرة هي الحياة الحق وما سواها باطل "**يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**"[٤].

٥. خطورة أصدقاء السوء وعدم الانتفاع منهم في شيء "**يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي**"[٥].

---

[١] سورة الأنعام، آية ٢٧.
[٢] سورة الأحزاب، آية ٦٦.
[٣] سورة الفرقان، آية ٢٧.
[٤] سورة الفجر، آية ٢٤.
[٥] سورة الفرقان، آية ٢٨.

٦. خطورة كفر النعمة وعدم شكر المنعم وعقوبة ذلك "**وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً**"[١].

فعرض القرآن لهذه الحقائق إنما هو نوع من رحمة الله لعباده يحذرهم من سوء العاقبة مقدماً على ألسنة المقصرين يوم القيامة لبيان هذه الحقائق وتجليتها وإيضاحها وتثبيتها في وقت يملك الإنسان فيه العمل والنجاة.

يقول قتادة –رحمه الله– "والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل أو إلى عشيرة ولا أن يرجع إلى الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عز وجل فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب إلى النار"[٢].

٣. التقرير لإثبات أية حقيقة يريد أن يؤكدها القرآن عن طريق الاحتجاج والإقناع؛ والترغيب والترهيب، أو عن طريق إبراز جوانب الحسن أو القبح أو عن طريق إثارة محور الطمع والرغبة أو الخوف والحذر لدى المخاطب وشحن ذهن المخاطب وتحريك طاقاته الفكرية.

وبعد:

فقد حاولت في هذا الفصل أن ألمّ ببعض مظاهر الإعجاز في أسلوب التمني؛ وذلك من خلال دراسة هذا الأسلوب بطريقة موحدة؛ من خلال التعابير الفنية الجميلة لأسلوب التمني والتي خرجت بها أي الذكر الحكيم.

فالمظاهر العامة لهذا الأسلوب لا يمكن الوقوف عليها بأكملها بطريقة جزئية في تناول كل نص على حدة.

ومظاهر الإعجاز لأسلوب التمني في القرآن ما هي إلا جزء من مظاهر الإعجاز القرآني العامة.

والحق أنني لا يسعني الإلمام بجميع مظاهر الإعجاز في هذا الأسلوب القرآني؛ فالقرآن لا يمكن لأحد من البشر أن يحيط بجميع جوانبه ويأتي على شوارده، إذ أنه معين لا ينضب، ونور لا تحصره عقول البشر ونظرتهم الضيقة المحدودة.

---

[١] سورة الكهف، آية ٤٢.

[٢] إسماعيل بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج٣، ص٣٤٢.

"ومن إعجاز القرآن أن يظل مشغلة الدارسين العلماء جيلاً بعد جيل، ثم يبقى أبداً رحب المدى سخي المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية، امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح، عالياً يفوق طاقة الدارسين"[1].

[1] عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية بيانية، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ص١٩.

الـــخاتمـــة:

وبعد هذه الدراسة لأسلوب التمني في القرآن الكريم نخلص إلى النتائج التالية:

الأولى: الأسلوب القرآني أسلوب معجز، ومنفرد عن سائر الأساليب العربية، ولن يوجـــد فـــي لاحق الزمن أسلوب يضاهي أسلوبه.

الثانية: اشتمل القرآن على أنواع الأساليب العربية، وابتكر أساليبا لم يكونوا يعرفونها.

الثالثة: النفس الإنسانية لها شأن عظيم تحمل في طياتها الكثير من الأسرار يكشف لنا الله النقاب عن حقائقها وخفاياها ويظهر ما أخفته عن أندادها من خلال هذا الأسلوب.

الرابعة: الإسلام دين الفطرة، والنفس لا يمكن أن تخلو من الخواطر، والتمني من طبيعة النفـــس الإنسانية بجميع أقسامها لذلك جاءت آيات التمني لتهذب هذه الصفة.

الخامسة: التمني في متناول الإنسان وليس خارجا عن إرادته، لذلك حرص الإسلام على تحكيـم الإرادة وتقويتها فيه.

السادسة: أسلوب التمني في القرآن جاء بما هو أبلغ من خلال العيش في روح النص لا الكـــلام المجرد التخيلي أو غير الواقعي من بعض الأمثلة التي تضرب ولا أساس لها، ومن خلال تجاوز الحادثة المروية الخاصة، بل تخليدها أنموذجا عاما متكررا في بني الإنسان لا يتقيـــد بالزمـــان والمكان.

السابعة: امتاز أسلوب التمني في القرآن الكريم بتحديد الانبعاثات في النفس البشرية التي تولـــد التمني ثم معالجة هذه الانبعاثات قبل أن تصبح تصورات ثم إرادات، وبذلك يوفر لنـــا القـــرآن الكريم قسطا وافرا عن طبائع النفس البشرية لدراستها والاستفادة منها، فالقرآن الكريـــم أعظـــم طبيب نفسي.

الثامنة: أغلب آيات التمني وقوعا في القرآن الكريم يوم القيامة ومن خلاله قرب لنا الله عز وجل صورة نار جهنم المنفرة المخيفة في أمنيات الكفار الحارقة الملتهبة، حيث الابـــلاس والعويـــل والندب والأنين.

التاسعة: التمني عبارة عن مرآة عن ما يكنه الإنسان في داخله، فأمنية كل إنسان تعـــبر عـــن شخصيته ونفسيته.

العاشرة: الإنسان قد يتمنى ويشتهي قلبه ولكن الله يحول بين الإنسان وبين ما يشتهيه قلبه، ليعلم الإنسان أن اختياره في الحياة محدودة، ضمن مشيئة الله وفيما أراده الله سبحانه وتعالى.

الحادية عشر: أضافت الاستعمالات المختلفة لأدوات التمني صفة إعجازية جديدة للقرآن الكريم تتمثل في أن كل تركيب من تراكيب التمني له خصيصة في الأداء أو في الاستعمال يمتاز بها عن التركيب الآخر.

الثانية عشر: الهدف من المعجزة إدخال الطمأنينة في قلوبنا، فالله لطيف بعباده، فالإعجاز يقرب تصوره إلى العقل البشري من أجل أمر التحدي، وأمر التحدي وإن كان مقصوداً إلا أن الله -عزّ وجل- قد قرب صوره بالحركة الشاخصة الحية، حتى تكاد العين والأذن والخيال تبصرها لشدة وضوحها.

الثالثة عشر: لا يظهر الإعجاز في أسلوب التمني إلا من خلال تصوير الموقف بأكمله.

الرابعة عشر: يقرر الله -عزّ وجل- في هذا الأسلوب بعض الحقائق ويبينها بياناً شافياً حتى يتعظ بها الناس.

قائمة المصادر والمراجع:

- **المصـــادر**

القرآن الكريم.

١- إبراهيم بن السرّي الزجّاج (ت ٣١١هـ/٩٢٣م)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨.

٢- إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥.

٣- أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق سعيد الفلاح، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣.

٤- أحمد عبد النور المالقي، (ت ٧٠٢هـ/١٣٠٢م)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٥م.

٥- أحمد بن فارس، (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، المكتبة اللغوية العربية، بيروت، ١٩٦٣.

٦- أحمد بن فارس،(ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت.

٧- أحمد بن محمد بن حسن المرزوقي، (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، الحماسة، شرح المرزوقي، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد أمين، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١.

٨- أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م)، حاشية الشهاب على البيضاوي عناية القاضي وكفاية الراضي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

٩- أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الطبعة الثانية، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، ١٩٠٦.

١٠- إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤.

١١- إسماعيل بن كثير القرشي، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أحمد عبد السلام الزغبي، الطبعة الأولى، دار الأرقم، بيروت، لبنان، ١٩٩٨.

١٢- إسماعيل حقي البرسوي، (١١٣٧هـ/١٧٢٤م)، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣- أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢.

١٤- بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٢هـ.

١٥- الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، (ت ٤٢٥هـ/١٠٣٣م)، مفردات القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى، دار العلم والدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٩٩٢.

١٦- حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م)، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل من إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٧هـ.

١٧- الخطيب القزويني، (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثانية، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

١٨- سعد الدين التفتازاني، مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني، على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٢هـ.

١٩- سليمان أحمد الطبراني، (ت ٣٦٠هـ/٩٩٠م)، المعجم الكبير، حققه حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل.

٢١- صديق بن حسن بن علي بن الحسين القنوجي (ت ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م)، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا.

٢٢- عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ/١١٥١م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري، الطبعة الأولى، الدوحة، ١٩٧٩.

٢٣- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، الدر المنثور في التفسير المأثور، الطبعة الأولى، دار الفكر، لبنان، ١٩٨٣.

٢٤- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، طبعة حجرية قديمة.

٢٥- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ، ١٥٠٥م) معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.

٢٦- عبد الرحمن اسحق الزجاجي، (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م)، كتاب حروف المعاني، تحقيق علي توفيق الحمد، الطبعة الأولى، دار الأمل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤.

٢٧- عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٦هـ/١٤٧١م)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، منشورت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٢٨- عبد القادر بن عمر البغدادي، (ت ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)، خزانة الأدب ولباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٩- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، (ت ٤٦٥هـ/١٠٧٢م)، لطائف الإشارات، تحقيق إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٨١.

٣٠- عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق إبراهيم محمد رمضان، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، ١٩٨٩.

٣١- عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، (ت ٧٦١هـ/١٣٥٩م)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق اميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

٣٢- عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، (ت ٧٦١هـ/١٣٥٩م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ١٣٥٦ هـ.

٣٣- علاء الدين بن بلبان، (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حققه شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧.

٣٤- علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة.

٣٥- علي بن عيسى الرماني، (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة.

٣٦- علي بن عيسى الرماني (٣٨٦هـ)، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.

٣٧- علي بن محمد الماوردي (٤٥٠هـ) النكت والعيون، المعروف بتفسير الماوردي، تحقيق السيد بن عبد المقصود، الطبعة الأولى، مؤسسة الثقافة، بيروت، ١٩٩٢.

٣٨- علي بن محمد الهروي، (ت ٤١٥هـ١٠٢٤م)، كتاب الأزهرية في علم الحروف، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨١.

٣٩- عمر بن علي بن عادل، (ت بعد ٨٨٠هـ/١٤٧٥م)، البيان في علوم الكتاب، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

٤٠- عمر بن بحر الجاحظ، (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، كتاب الحيوان، تحقيق محمد باسل وعبود السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

٤١- عمر بن بحر الجاحظ، (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت.

٤٢- عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م)، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨.

٤٣- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، دار إحياء التراث العربي.

٤٤- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت ٦٧١هـ/١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن، الناشر مناهل العرفان، بيروت.

٤٥- محمد بن أحمد جزيء الكلبي، (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م)، التسهيل لعلوم التنزيل، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣.

٤٦- محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه ووثق نصوصه يسري السيد محمد، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، ١٩٩٣.

٤٧- محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، كتاب الفوائد، دار العلوم الحديثة، بيروت.

٤٨- محمد بن محمد العمادي المشهور بأبي السعود (ت ٩٥١هـ/١٥٤٤م)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٤٩- محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق محمد محمود شاكر وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر.

٥٠- محمد الجزري بن الأثير، (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث، تحقيق محمود محمد الطناحي، دار الفكر، بيروت.

٥١- محمد بن الطيب الباقلاني، (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م)، إعجاز القرآن، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

٥٢- محمد بن عبد الله الزركشي، (ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، دار القاهرة، ١٩٥٧م.

٥٣- محمد بن علي الجرجاني، (ت ٣٩٤هـ/١٠٠٣م)، الإرشادات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

٥٤- محمد بن علي الصبان، (ت ١٢٠٦هـ/١٧٩٣م)، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

٥٥- محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الناشر دار المعرفة، بيروت ، لبنان.

٥٦- محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٧- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل المعروف بسنن الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٨- محمد مصلح الدين مصطفى القوجوجي (ت ٩٥١هـ/١٥٤٤م)، حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، تحقيق محمد عبد القادر شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

٥٩- محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م)، سنن ابن ماجة حققه بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨.

٦٠- محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، (ت ٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣.

٦١- محمود بن عبد الله الآلوسي، (ت ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م)، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ضبطه عبد الباري عطية ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

٦٢- محمود بن عمر الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتب العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م.

٦٣- محمد بن مكرم بن منظور، (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق مكتب تحقيق التراث، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت ١٩٩٣م.

٦٤- مكّي بن أبي طالب القيسي، (ت ٤٣٧هـ/١٠٤٥م)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محي الدين رمضان، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧.

٦٥- نصر بن علي بن محمد، الفارسي المعروف بابن أبي مريم، (ت ٥٦٥هـ/١١٦٩م) الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق عمر حمدان الكبيسي، الطبعة الأولى، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، ١٩٩٣.

٦٦- هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق الحاج بن سعيد شريفي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

٦٧- يحيى بن حمزة العلوي، (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الإعجاز، دار الكتب الخدوية، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤.

٦٨- يحيى بن زياد الديلمي المعروف بالفراء، (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مطبعة الكتب المصرية، ١٩٥٠م.

٦٩- ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٤٢هـ.

٧٠- يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت.

٧١- يوسف بن أبن بكر السكاكي، مفتاح العلوم، منشورات المكتبة العلمية الجديدة، بيروت.

*** المراجع:**

٧٢- إبراهيم بن محمد بن سرسيق، النفس الإنسانية في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار تهامة، جدة، ١٩٨١.

٧٣- أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، الطبعة الثالثة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة.

٧٤- أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، الطبعة السادسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦.

٧٥- أحمد الشرباصي، هكذا يتحدى القرآن، دار الاعتصام.

٧٦- أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

٧٧- حسن العطار، حاشية العطار على شرح الأزهرية، شرح خالد الأزهري، الطبعة الأولى، المطبعة البهية المصرية، ١٩٢٥م.

٧٨- سعيد حوى، الأساس في التفسير، الطبعة الأولى، دار السلام، القاهرة.

٧٩- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، ١٩٦٣م.

٨٠- سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار المعرفة، مصر، ١٩٦١.

٨١- سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة الخامسة، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٧.

٨٢- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف.

٨٣- صباح عبيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

٨٤- صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، الطبعة الثالثة، دار عمار، عمان، ١٩٩٢.

٨٥- صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨.

٨٦- عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق - دراسة قرآنية لغوية بيانية، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة.

٨٧- عبد الحليم حفني، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

٨٨- عبد الحليم حفني، التصوير الساخر في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.

٨٩- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق محمد زهدي النجار، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣.

٩٠- عبد الغني محمد حسن بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهجا، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة وهبة، ١٩٨٣.

٩١- عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٠.

٩٢- عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٦٤.

٩٣- عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، بدون تاريخ طبعة.

٩٤- عبد الوهاب عزام، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٤.

٩٥- فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني دراسة بيانية في الأسلوب القرآني، الطبعة الأولى، دار عمار، ١٩٩٨.

٩٦- فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، بدون دار نشر أو تاريخ طبعة.

٩٧- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، بيروت.

٩٨- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الثانية، منشورات العلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٢.

٩٩- محمد رشيد رضا، المنار، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٣.

١٠٠-محمد رجب البيومي، أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد الأدبي، الطبعة الأولى، دار الأصالة للثقافة، النشر والإعلام، الرياض، ١٩٨٥.

١٠١-محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢.

١٠٢-محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس ١٩٨٤.

١٠٣-محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة.

١٠٤-محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة الثالثة، دار الفكر، ١٩٨٨.

١٠٥-محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، بدون دار نشر أو تاريخ طبعة.

١٠٦-محمد علي الصابوني، قبس من نور القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار السلام، القاهرة.

١٠٧-محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، الطبعة الأولى، المختار الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨.

١٠٨-محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، الطبعة الرابعة، مطبعة الاستقلال الكبرى، ١٩٦٨.

١٠٩-محمد محمود أبو موسى، دراسة في البلاغة والشعر، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٩١.

١١٠-محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة.

١١١- محمد الغزالي، فقه السير، الطبعة السابعة، عالم المعرفة، ١٩٧٦.

١١٢-المختار أحمد محمود الشنقيطي، الترجمان والدليل لآيات التنزيل، الطبعة الأولى، دار روضة الصغير، الرياض، ١٩٩٣.

١١٣-مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠.

١١٤-مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر.

١١٥-وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١.

*** مقال:**

١١٦-أنوليتمان، "باب أسماء التمني"، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، المجلد الحادي عشر، الجزء الأول، مايو، ١٩٤٩.

*** مخطوطة:**

١١٧-محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م)، في أحكام التمني، نسخة خطية بمكتبة برلين (٢/٥٤١٠) (مخطوطة).

الملاحق

لا يكون ما يترتب من الضرر غير مؤثر عليهم ولا مضر بهم فان اثر بهم او اضر عليهم لم يجز وان باع
ان لا يستغرق عليه بقدر ما جنته فان زاد عليها لم يجز والناس لا يكرون قدر الا فرد شهرا شيئا وكيلة جميع
الخصوم وان تساووا فالمطالبة لان ما جنته عليه ان زاد النظر لم يعتبر بتباين الحقوق فان فاضل بينهم
فيه لم يجز الا ان شيا صلوا سوا الزمان فيجوز وضع مثل هذا معتبر تدخل على جميع المسلمين وان جازت به
الضرورات هذا كلام مختصر وما حكم به من الاسرار وانا كم والاغترار بمتابع الغرور وزينة الغرور
واتقوا عليكم الذكر وفوز يكون فيكم من فضوله ذلك الذي يتولى الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
وانظروا رحمكم الله تعالى كيف جعل ذلك حاجزا للضرات فاكتفوا والاتم واشروا ولا تسهروا ولا تحدثوا
متجاورين التجاوب واقبلوا على الاصلاح للدار الاخرة بالجهاد وقد رضي لكم واقبلوا النصح واجتنبوا
التباغض والتحاسد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم السلام النصيح في النصيح لسيد الرسل حلال الدين
السيوطي

جاء في كتاب اتحاف السوائح لابن دحلان العدد الذي ذكر بعضهم ان المدة الشهرة السريحية تنعكس فيقول
متى حلفت او اوقعت عليك طلاقي فلم تتبع فانت طالق قبل ذلك او ما في معناه فمتى طلقها رفع الدلالة القبلية
لان الدلالة التبعية ثابتة على التقييد بها وترفع الحنث وعدم وقوعه وحاشت على التقييد واقع قطعا
حكما ما علق به وهو ضرر كما لا يشكل متبعا بوجه واصدر اذا قال الوكل بها غرلته ذات وكيلي وظن ان
شيوعا وكلا ثانية مغزول نسيتعارضا ويبقى اصل البيع ثم ما نصه شيخي للمتيطي ان يكون احتمال الكلام
بجزاء الكلام الاول مرضي السوال قال السبتيني بل الاقعد ارجاع السوال الاخير فانه الذي يترتب عليه ويبقى ما قبل الكلام
لتتبع الاسباب بجزاءها ثم

مالك السيد عبد الرحمن بن سليم الباجوري الشافعي
حرره الاعاد السيد عبد الرحمن بن سليم الباجوري الشافعي
وكتبه بيده وهو حي بالله الغني

اكرمه مسلم حرر ما الزركشي في احكام التميمي قال هو انواع احدها تميمي الاصل حال الاخر من
دين او دنيا على ان يتلقيه ما عند الاخر وهذا حرام اذ هو اكثر بعينه وقد امضى الله تعالى ما في
تميمي من شتى الدنيا وكثرة متاعها المطر بالنقمة فهو حرام ما دون ومن تميمي مثل ما اوتي قيس بعد وا النهي
المنع لانه الاعضاء ومثل المواضعة في البيع وابن خويز منداد وغيره ما عن اكثر العلما ان النهي في قوله
ولا تتمنوا على التحريم اذ ليس لاحد ان يتمنى مثل فلان او ما يتمنى لنفسه لمثله وحكوا عن الفراء
النهي للتنزيه وغلطوه لان النهي لا ينصرف عن مقتضاه الا بقرينة وقال آخرون نزلت تعليقا من كتاب
الصوم كما يحرم النظر الى ما لا يحل له يحرم التمني فيه لقوله تعالى ولا تتمنوا الآية فنهى عن التمني فيما يحل
كما نهى عن النظر الى ما لا يحل بقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم فكل النظر يعلق به وتردد الشيخ
يخوف الكرماني لا يظهر حتى لو اضر به كان قاذفا فرع الثاني ان تمني الرجل لنفسه ما عند غيره ان لم تمنى
زوال حاله فهذا يغبط اليه غير منهي عنه لانه الا جل الصالح وعليه حمل قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في
اثنين معناه المراد بالغبطة فيه حصول مثل ما عند غيره بلا استشنا عليه لزم ما يتمنى من كراهة الاشتهاء لما نهى عنه الا ان
ان تمني خلاف الاحكام الشرعية على جهة التحكم على الشريعة والتطرق الى رفعها كتمني ان الخمر لم تحرم
فهذا لا شك حرام ومنهي عنه وقد قال ان معجزة الامة هي كلامه على انها ارق لا تجري على العرب ولو كانوا
ناقم بالتمني ما الاحكام لتمنينا لم يكن ذلك هكذا تمني بالتمني مثل ذلك وان لم يرد ان التمني
كلام حرام وحكي في العباد ي في الطبقات عن محمد بن عبد الحكم سئل ان عمر عن كل ما يتمنى الناس
فتمنى ان جابر وودت ان لا يجوز الا الذي لا اراي فيهم والمنع منه لان سمعته الله يقول لسوا الكريم عند الله
اتقاكم وهذا بعد استقرار الاحكام اما في زمن النسخ فقد كان ذلك جايزا ويدل عليه ان صلى الله عليه وسلم
لما امر بتوجه الى بيت المقدس وكان تميمي التوجه الى الكعبة لانه كان يتوقع من الله تحويله الى الكعبة
وانما اشرد كر ان ما قبله ابرهيم عليه السلام وان العرب كانوا يعظمونها فيرجون باسلامهم وهم اكثر
من بني اسرايل الرابع ان يتمنى على الله من غير ان يقترن امنية بشي مما قدمناه فذلك جايز عام يكن

In the name of Allah the most
Gracious, the most merciful

Abstract

Prepared by: Mukhtar Omar Muktar
Al–shangity

Supervised by: Dr. Ziyad Al Dagamean

The research demonstrates the wish style in the Holy Koran – a Koranic style which received a little chance in being taught thoroughly and seperately. In spite of the fact that the hafely koranic studies have stylistic direction, yet the Koranic styles have been taught in many dissertations and modern books, among of which is the style of affirmation, negation, vocative, interogarine, and request... but I didn't find any dissertation or a book that dealt with the wish style in the Holy Koran in a thorough and seperate study.

In fact, the wish style is Considered a linguistic phenomeron of wonderous nature that deals with issues of religion, life, and life after death. Allah Almighty uses it in the Holy Koran in addressing us, for this reason it is a must to study this style seperately and thoroughly to show its' various pictures, indicative meanings, and characterestics in the Holy Koran.

The most important issue in which this research is concerned with is the dependence on the Koran it self in deducting what can be deducted from looking at the forming methods and understanding orderly the previous and the subsequent matters. Then by going back to the linguistic meanings of the words concerning the language itself and concerning its being in a certain context. The applied studies one considered the core of the koranic studies for the effect they have in rereading the hidden of the words and the accumulation of structures.

The nature of the research has required the research of consists of introduction, three chapters, and a conclusion.

In the first chapter, I dealt with the Koranic style in relation to its definition, its variation, the creations and the characteristics of the koranic style so as to be an introduction to the wish style in the Holy Koran.

In the second chapter, I dealt with the wish style in the Holy Koran, as an applied study. This is to show the wonderous nature of the Holy Koran through the beautiful artistic and pictorial expressions which the Koranic verse produced. It has a precission in expression, and depiction of the inwardly in such a wondrous style looking on talents, feelings, and deep interior and humane inwardly which the Arab styles can depict and recall for they have an invisible part.

In the third chapter, I dealt with the aspects of the Koranic wonderous nature in the wish style by studying the wish style in one united way. The aspects of the Holy Koran Wonderous nature can't all be dealt with in part by taking each text alone. This presentation was taken place through five aspects.

The first :The preciseness in depicting the psychological status.
The second :The force in using the word in producing the exact meaning.
The third :The variation in the presentation of the method.
The forth :The reality in the wist style
The fifth :The educational guidance.

The finally, I summarized in the conclusion the most important out comes which the study reached at.